شرح الأصول الستة

لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور/ محمد أمان الجامي
رحمه الله تعالى

اعتنى به
أبو جعفر المدني

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور
صالح بن سعد السحيمي
حفظه الله

دار النصيحة

شَرْحُ
الأُصُولِ السِّتَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٥٤٤

دار النصيحة

المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية - حي الفيصلية - أمام الباب الجنوبي للجامعة الإسلامية

جوال: ٠٠٩٦٦٥٩٥٩٨٢٠٤٦ ت وفاكس: ٠٠٩٦٦٨٤٨٤٧٠٧٠٨

البريد الإلكتروني: daralnasihaa@Gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد والصلاة والسلام علىٰ رسول الله.

وبعد:

فقد قرأت التفريغ الذي قام به أخونا الباحث الأخ الشيخ/ أبو جعفر جمال بن عبد السلام للدروس التي ألقاها فضيلة شيخنا الشيخ الدكتور/ محمد أمان بن علي الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسجد النبوي، وهي «**شرح الأصول الستة**»؛ فوجدت الباحث قد عُني بها عناية فائقة كما ألقاها المؤلف، مع عنايته -وفقه الله- بعزو الآيات وتخريج الأحاديث من مظانها والحكم عليها في ضوء كلام السلف، مع نسبة الأقوال إلىٰ قائليها، والتعريف بالفِرَقِ والمصطلحات العلمية التي أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وخلاصة القول: أنني أرىٰ إخراج هذا الكتاب وطبعه ونشره؛ لينتفع به المسلمون عامة وطلَّاب العلم خاصة.

فجزىٰ الله الباحث خيرًا علىٰ إخراج هذا السفر الماتع المبارك، وثقَّل بذلك ميزان حسناته وميزان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ إنه جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

أملاه الفقير لعفو ربه

صالح بن سعد السحيمي الحربي

(٢٩/ ٤/ ١٤٣١هـ)

صورة خطية من تقديم الشيخ صالح السحيمي

بسم الله الرحمن الرحيم

د. صالح بن سعد السحيمي الحربي
المدرس بالمسجد النبوي
موجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية
بالمدينة النبوية
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية (سابقاً)

Dr. Salih Saad Al-Suhaimi Al-Harbi
Teacher at the Mosque of the Prophet
Inspector of the Preachers in the Ministry of Islamic Affairs, Madinah Branch
Member, Teaching Staff at the Islamic University of Madinah Munawwarah

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد قرأت التفريغ الذي قام به أخونا الباحث الأخ الشيخ أبو جعفر جمال بن عبد السلام للدروس التي ألقاها فضيلة شيخنا الشيخ الدكتور محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله في المسجد النبوي وهي شرح الأصول الستة فوجدت الباحث قد عني بها عناية فائقة كما ألقاها المؤلف مع عنايته وفقه الله بعزو الآيات وتخريج الأحاديث من مظانها والحكم عليها في ضوء كلام السلف مؤتسية بأقوال أهل العلم والتعريف بالفرق والمصطلحات العلمية التي أوردها الشيخ رحمه الله.

وخلاصة القول أنني أرى إخراج هذا الكتاب وطبعه ونشره لينتفع به المسلمون عامة وطلاب العلم خاصة.

فجزى الله الباحث خيراً على إخراج هذا السفر الماتع المبارك وتقبل بذلك في ميزان حسناته وميزان الشيخ رحمه الله إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أملاه الفقير لعفو ربه
صالح بن سعد السحيمي الحربي

١٤٢٩ ١٤٣١

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - ص ب ٦٤٧ - فاكس ٨٤٧٣٦٣٤ - جوال ٠٥٠٥٣١٠٦٩٢
Saudi Arabia - Al-Madina Al-Munawarah - P.O.Box 647 - Fax 8473634 - Mob. 0505310692

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ فِي النَّار.

وبعد:

فإن من حقوق العلماء علينا: محبتهم، وتوقيرهم، والدعاء لهم، ونشر

علمهم بين الناس؛ ليُكتب لهم أجره، ويكون في هذا إسداء لبعض حقِّهم علينا، وإنَّ مِن هؤلاء العلماء الأجلاء الشيخ العلامة شيخ شيوخنا **محمد أمان الجامي** -رحمه الله رحمة واسعة-؛ فإنه كان من هؤلاء الأفذاذ الذين أفنوا أعمارهم في خدمة دين الله نشرًا وتعليمًا وتحقيقًا وتأليفًا.

وكان من تلك الكتب التي شرحها كتاب **«الأصول الستة»** للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث شرحه في مجالس عدة، وهو كغيره من شروح الشيخ التي لم تجد من يعتني بها ويخرجها للناس في كتاب ليسهل الإفادة منها[1]، ولكن هذا الشرح قد يسَّر الله لي -وبعون من بعض الإخوة، جزاهم الله خيرًا- إخراجه علىٰ هذه الصورة؛ التي أسأل الله أن تجد القبول بين أهل العلم وطلابه.

وكان عملي في هذا الشرح علىٰ النحو التالي:

١- إثبات كلام الشيخ المفرَّغ كما هو، إلا ما لابد منه كحذف تكرار أو إبدال حرف مكان حرف أو زيادته، وهذا ليستقيم الكلام، فمعلوم أن الكلام المرتجل يقع فيه ما لا يقع في الكتابة و«الشرح بالتقرير لا يساوي الشرح بالتحرير، من حيث انتقاء الألفاظ وتحرير العبارة»[2].

٢- عزوت الآيات القرآنية إلىٰ مواطنها مع ضبطها بالرسم العثماني.

---

(١) وقد سبق أن صدر عن دار النصيحة بالمدينة النبوية كتاب شرح الأصول الثلاثة للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قام علىٰ نشره الأخ محمود الطرابلسي -جزاه الله خيرًا-.

(٢) انظر مقدمة الشيخ ابن عثيمين لـ «الشرح الممتع» (ص٦).

٣- خرجت الأحاديث والآثار الواردة في الشرح إلىٰ مصادرها مع بيان حكمها.

٤- قمت بالتعريف بما ورد في الشرح من أعلام وفرق ومصطلحات مع توثيق النصوص المنقولة قدر المستطاع.

٥- أوردت ترجمة مختصرة لصاحب الأصول الستة وللشارح -رحمهما الله-.

٦- وضعت الفهارس العلمية اللازمة لذلك.

هذا؛ وأسأل الله -جلَّ في علاه- أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم، وأن يجري علىٰ الشيخ أجره وثوابه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وكتبه

أبو جعفر المدني

في مدينة المصطفىٰ ﷺ

(٣/ ٧/ ١٤٣٠هـ)

التعريف بالإمام محمد بن عبد الوهاب صاحب الأصول الستة(١)

* اسمه ونسبه :

هو الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر بن وهب بن تميم.

* مولده ونشأته العلمية :

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١١١٥هـ في بلدة العيينة من أرض نجد، ونشأ بها، وقرأ القرآن بها قبل بلوغه العشر، وكان حادَّ الفهم، سريع الإدراك، ثم اشتغل بالعلم وجدَّ في طلبه، وبعد بلوغه قدَّمه والده إمامًا في الصلاة، ثم حج فقضىٰ فريضة الإسلام، ثم قصد المدينة وأقام بها شهرين، ثم رجع إلىٰ

(١) ولست هنا بصدد الترجمة للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسيرته معروفة مشهورة، وانظر ترجمته في: «الدرر السنية» (١٢/ ٣)، و«روضة الأفكار» لابن غنام، و«كتاب علماء نجد» للشيخ عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ.

وطنه واشتغل بالقراءة علىٰ مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم رحل في طلب العلم وزاحم العلماء الكبار، ورحل إلىٰ البصرة والحجاز مرارًا، واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ، وأتىٰ الأحساء وهي وقتئذٍ مليئة بالعلماء والمشايخ، فسمع وناظر، وبحث واستفاد.

أخذ العلم عن عدة مشايخ أجلَّاء وعلماء فضلاء:

ففي نجد عن أبيه وغيره.

وفي المدينة عن الشيخ محمد حياة السندي، وعن الشيخ إسماعيل العجلوني وغيرهما.

وأخذ عن الشيخ أفندي الداغستاني وغيره.

وأجازه محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها.

*** دعوته:**

بدأ الشيخ دعوته في بلدة حريملاء لوجود والده فيها، وذلك سنة ١١٤٣هـ، لكنه ما لبث أن غادرها بسبب تآمر نفر من أهلها علىٰ قتله.

توجه الشيخ بعدها إلىٰ العيينة وعرض دعوته علىٰ أميرها عثمان بن معمر الذي قام معه بهدم القبور والقباب، وأعانه علىٰ رجم امرأة زانية جاءته معترفة بذلك، ولكن لمَّا كَثُر القيل والقال من أهل البدع والضلال شَكَوا إلىٰ شيخهم رئيس بني خالد فكتب إلىٰ عثمان يأمره بقتله أو إجلائه، فخرج الشيخ من العيينة إلىٰ الدرعية، ولمَّا سمع بمقدمه الأمير محمد بن سعود

رحَّب به وبادره بالقبول والتأييد، فمضي الشيخ والأمير في نشر الدعوة حتىٰ عمَّ خيرها أرجاء البلاد، وكان لها الأثر الواضح في حركات الإصلاح التي قامت في نواحي البلاد الإسلامية.

*** وفاته:**

تُوفي الشيخ في الدرعية يوم الإثنين من شهر شوال سنة ١٢٠٦هـ، وكان يومًا مشهودًا، تزاحم الناس علىٰ سريره، وصلوا عليه في بلدة الدرعية.

وقد رثاه جمع من أهل العلم ومنهم الشوكاني الذي قال:

مصاب دها قلبي فأذكىٰ غلائلي ... وأصمىٰ بسهم الافتجاع مقاتلي

وخطب به أعشار أحشائي ... فأمست بفرط الوجد أي ثواكلي[1]

إلىٰ آخر ما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أبيات طويلة.

*** مؤلفاته:**

للشيخ مصنفات كثيرة نافعة، منها:

١- كتاب التوحيد. ٢- كشف الشبهات.

٣- ثلاثة الأصول. ٤- نواقض الإسلام.

وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بجمع مؤلفات الشيخ في مجموع واحد.

---

(١) «الدرر السنية» (١٢/ ٢٠).

ترجمة فضيلة الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]

*** التعريف بالشيخ:**

أ- اسمه: هو: محمد أمان بن علي جامي علي، يُكنَّىٰ بأبي أحمد.

ب- موطنه: الحبشة، منطقة هرر، قرية طغا طاب.

ج- سنة ولادته: ولد كما هو مدون في أوراقه الرسمية سنة ١٣٤٩ هـ.

*** طلبه للعلم:**

أ- طلبه للعلم في الحبشة:

نشأ الشيخ في قرية طغا طاب وفيها تعلم القرآن الكريم، وبعدما ختمه شرع في دراسة كتب الفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي -رحمه الله تعالىٰ-، ودرس العربية في قريته أيضًا علىٰ الشيخ محمد أمين الهرري، ثم ترك قريته -علىٰ عادة أهل تلك الناحية- إلىٰ قرية أخرىٰ، وفيها التقىٰ مع زميل طلبه وهجرته إلىٰ البلاد السعودية الشيخ عبد الكريم.

---

(١) وهي مختصرة من ترجمة للشيخ كتبها تلميذه: مصطفىٰ بن عبد القادر الفُلَّاني -حفظه الله-، مع بعض الزيادات عليها، وهي مطبوعة ضمن مطويات مكتبة الفرقان.

فانعقدت بينهما الأخوة الإسلامية، ثم ذهبا معًا إلىٰ شيخ يُسمَّىٰ الشيخ موسىٰ، ودرسا عليه نظم «الزبد» لابن رسلان، ثم درسا متن «المنهاج» علىٰ الشيخ أبادر، وتعلَّمَا في هذه القرية عدة فنون.

ثم اشتاقا إلىٰ السفر للبلاد المقدسة مكة المكرمة للتعلم وأداء فريضة الحج، فخرجا من الحبشة إلىٰ الصومال، فركبا البحر متوجيهن إلىٰ عدن؛ حيث واجهتهما مصاعب ومخاطر في البحر والبر.

ثم سارا إلىٰ الحديدة سيرًا علىٰ الأقدام، فصاما شهر رمضان فيها، ثم غادرا إلىٰ السعودية فمرَّا بصامطة وأبي عريش حتىٰ حصلا علىٰ إذن الدخول إلىٰ مكة وكان هذا سيرًا علىٰ الأقدام.

وفي اليمن حذَّرهما بعض الشيوخ فيها من الدعوة السلفية التي يطلقون عليها الوهابية.

ب- طلبه للعلم في السعودية:

بعد أداء الشيخ فريضة الحج عام ١٣٦٩هـ بدأ -رحمه الله تعالىٰ- طلبه للعلم بالمسجد الحرام في حلقات العلم المبثوثة في رحابه، و استفاد من فضيلة الشيخ عبد الرزاق حمزة -رحمه الله تعالىٰ-، وفضيلة الشيخ عبد الحق الهاشمي -رحمه الله تعالىٰ-، وفضيلة الشيخ محمد عبد الله الصومالي وغيرهم.

وفي مكة تعرَّف علىٰ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالىٰ- وصحبه في سفره إلىٰ الرياض لمَّا افتتح المعهد العلمي، وكان ذلك في أوائل السبعينيات.

وممن زامله في دراسته الثانوية بالمعهد العلمي فضيلة الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر، وفضيلة الشيخ علي بن مهنا القاضي بالمحكمة الشرعية الكبرىٰ بالمدينة سابقًا، كما أنه لازم حلق العلم المنتشرة في الرياض.

وأيضًا فقد استفاد وتأثر بسماحة المفتي العلامة الفقيه الأصولي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-.

كما كان ملازمًا لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي -رحمه الله تعالىٰ-، كما لازم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالىٰ- فنهل من علمه الجم وخُلُقِهِ الكريم.

كما أخذ العلم بالرياض علىٰ فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي -رحمه الله تعالىٰ-، وفضيلة الشيخ العلامة المحدث حماد الأنصاري -رحمه الله تعالىٰ-، وتأثر المُتَرجَم له بالشيخ عبد الرزاق عفيفي كثيرًا حتىٰ في أسلوب تدريسه.

كما استفاد وتأثر بفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالىٰ- حيث كانت بينهما مراسلات، علمًا بأن المُتَرجَم له لم يدرس علىٰ الشيخ السعدي.

كما تعلم علىٰ فضيلة الشيخ العلامة محمد خليل هراس -رحمه الله تعالىٰ- وكان متأثرًا به أيضًا، كما استفاد من فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي -رحمه الله تعالىٰ-.

*** مؤهلاته العلمية:**

حصل علىٰ الثانوية من المعهد العلمي بالرياض، ثم انتسب بكلية الشريعة وحصل علىٰ شهادتها سنة ١٣٨٠هـ، ثم معادلة الماجستير في الشريعة من جامعة البنجاب عام ١٩٧٤م، ثم الدكتوراه من دار العلوم بالقاهرة.

*** مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:**

لقد كان للشيخ -رحمه الله تعالىٰ- مكانته العلمية عند أهل العلم والفضل، فقد ذكروه بالجميل وكان محل ثقتهم، بل بلغت الثقة بعلمه وعقيدته أنه عندما كان طالبًا في الرياض ورأىٰ شيخه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ نجابته وحرصه علىٰ العلم قدمه إلىٰ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث تمَّ التعاقد معه للتدريس بمعهد صامطة العلمي بمنطقة جازان.

وأيضًا مما يدل علىٰ الثقة بعلمه وعقيدته ومكانته عند أهل العلم أنه عند افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة انتُدب للتدريس فيها بعد وقوع اختيار سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومعلوم أن الجامعة الإسلامية أُنشئت لنشر العقيدة السلفية، وقد أوكلت الجامعة تدريس هذه العقيدة علىٰ فضيلة المُترجَم له بالمعهد الثانوي، ثم بكلية الشريعة ثقة بعقيدته وعلمه ومنهجه -رحمه الله تعالىٰ-،

وذلك ليُسهم في تحقيق أهداف الجامعة.

وإليك أخي القارئ كلام العلماء الثقات فيما كتبوه عن فضيلة شيخنا محمد أمان الجامي -رحمه الله تعالىٰ-:

*** ففي كتاب سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ رقم (٦٤) في (٩/ ١/ ١٤١٨هـ) قال عن الشيخ محمد أمان:**

«معروف لدي بالعلم والفضل وحسن العقيدة، والنشاط في الدعوة إلىٰ الله سبحانه، والتحذير من البدع والخرافات -غفر الله له وأسكنه فسيح جناته وأصلح ذريته وجمعنا وإياكم وإياه في دار كرامته إنه سميع قريب-».

*** وكتب فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان في كتابه المؤرخ**

(٣/ ٣/ ١٤١٨هـ) قائلًا: «الشيخ محمد أمان كما عرفته: إن المتعلمين وحملة الشهادات العليا المتنوعة كثيرون، ولكن قليل منهم من يستفيد من علمه ويُستفاد منه، والشيخ محمد أمان الجامي هو من تلك القلة النادرة من العلماء الذين سخروا علمهم وجهدهم في نفع المسلمين، وتوجيههم بالدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة من خلال تدريسه في الجامعة الإسلامية، وفي المسجد النبوي الشريف، وفي جولاته في الأقطار الإسلامية الخارجية، وتجواله في المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات في مختلف المناطق، يدعو إلىٰ التوحيد، وينشر العقيدة الصحيحة، ويوجه شباب الأمة إلىٰ منهج

السلف الصالح، ويُحذِّرهم مِن المبادئ الهدَّامة والدعوات المضللة.

ومَن لم يعرفه شخصيًّا فليعرفه من خلال كتبه المفيدة وأشرطته العديدة؛ التي تتضمن فيض ما يحمله من علم غزير ونفع كثير».

* **وكتب فضيلة الشيخ العلَّامة عبد المحسن بن حمد العباد المدرس بالمسجد النبوي -حفظه الله تعالىٰ-**: «عرفت الشيخ محمد أمان بن علي الجامي طالبًا في معهد الرياض العلمي، ثمَّ مدرسًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المرحلة الثانوية، ثم في المرحلة الجامعية، عرفته حسن العقيدة سليم الاتجاه، وله عناية في بيان العقيدة علىٰ مذهب السلف، والتحذير من البدع، وذلك في دروسه ومحاضراته وكتاباته؛ غفر الله له ورحمه وأجزل له المثوبة».

* **وقال معالي مدير الجامعة الإسلامية الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود -وفقه الله- في كتابه المؤرخ في (١٥/ ٤/ ١٤١٧هـ)**: «الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فقد رغب مني الأخ الشيخ مصطفىٰ بن عبد القادر أن أكتب عن الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ شيئًا مما أعرفه عنه من المحاسن؛ لتكون من بعده في الآخرين؛ فأجبته بهذه الأحرف اليسيرة، علىٰ الرغم من أنني لم أكن من تلامذته، ولا من أصحابه الملازمين له، طويلي ملاقاته ومخالطته، ولكن

صار بيني وبينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقاءات استفدت منها، وتمَّ من خلالها التعارف وانعقاد المحبة بيننا في الله تعالىٰ، وتوثيق التوافق علىٰ منهج السلف الصالح في العقيدة والرد علىٰ المخالفين.

رحم الله الشيخ محمد أمان وأسكنه فسيح جناته، وألحقنا وإياه بالصالحين من أمة محمد سيد المرسلين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله محمد وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين».

* **وقال فضيلة الشيخ محمد بن علي بن محمد ثاني، المدرس بالمسجد النبوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المؤرخ في (٤/ ١/ ١٤١٧هـ):** «وفضيلته عالمٌ سلفيٌّ من الطراز الأول في التفاني في الدعوة الإسلامية، وله نشاط في المحاضرات في المساجد والندوات العلمية في الداخل والخارج، وله مؤلفات في العقيدة وغيرها، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأجزل له الأجر في الآخرة؛ إنه سميع مجيب».

* **وقال فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب مرزوق البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المُترجَم له:** «ولقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ خير ما نُحب من حسن الخلق وسلامة العقيدة وطيب العشرة، أسأل الله أن يتغمده برحمته، ويسكنه فسيح جنته، ويجمعنا جميعًا إخوانًا علىٰ سرر متقابلين».

* **وكتب فضيلة الشيخ عمر بن محمد فلَّاتة المدرس بالمسجد النبوي ومدير شعبة دار الحديث رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المؤرخ في (٨/ ٢/ ١٤١٧هـ) فمما جاء فيه:** «وبالجملة؛ فلقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صادق اللهجة، عظيم الانتماء لمذهب

أهل السنة، قوي الإرادة، داعيًا إلىٰ الله بقوله وعمله ولسانه، عفَّ اللسان، قوي البيان، سريع الغضب عند انتهاك حرمات الله، تتحدث عنه مجالسه في المسجد النبوي الشريف التي أدَّاها وقام بها، وتآليفه التي نشرها ورحلاته التي قام بها، ولقد رافقته في السفر فكان نعم الصديق.

ورافق هو فضيلة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب أضواء البيان وغيره -فكان له أيضًا نعم الرفيق-، والسفر هو الذي يُظهر الرجال علىٰ حقيقتهم، لا يجامل، ولا ينافق، ولا يماري، ولا يجادل، إن كان معه الدليل صَدَع به، وإن ظهر له خلاف ما هو عليه قال به ورجع إليه، وهذا هو دأب المؤمنين كما قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١] الآية.

وأُشْهِد الله تعالىٰ أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أدَّىٰ كثيرًا ممَّا عليه من خدمة الدين، ونشر سنة سيِّد المرسلين.

ولقد صادف كثيرًا من الأذىٰ وكثيرًا من الكيد والمكر، فلم ينثنِ، ولم يفزع حتىٰ لقي الله، وكان آخر كلامه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله».

*** وكتب فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور محمد بن حمود الوائلي، المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية، ووكيلها للدراسات العليا والبحث العلمي في كتابه المؤرخ في (٢٩/ ٥/ ١٤١٧هـ): «بدأت معرفتي**

بالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٣٨١هـ، عندما قامت هذه الدولة السعودية الكريمة -حفظها الله- بإنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العام المذكور، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أوائل المدرسين بها وكنت أحد طلابها.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مِن بين عدد من المشايخ الذين يولون طلابهم عناية خاصة لا تقف عند علاقة المدرس بتلميذه في الفصل.

وكان في عامة دروسه يُعنَىٰ عناية عظيمة بعقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم، لا يترك مناسبة تمر دون أن يبين فيها مكانة هذه العقيدة، لا فرق في ذلك بين دروس العقيدة وغيرها.

وهو حين يتحدث عن عقيدة السلف الصالح ويسعىٰ في غرسها في نفوس أبنائه الطلاب الذين جاء أكثرهم من كل فج عميق، إنما يتحدث بلسان خبير بتلك العقيدة؛ لأنه ذاق حلاوتها وسبر غورها، حتىٰ إن السامع المشاهد له وهو يتكلم عنها ليحس أن قلبه ينضح حبًّا وتعلقًا بها.

وكانت له رحلات في مجالي الدعوة والتعليم خارج المملكة، لا يدع مناسبة تجيء أو فرصة تمر دون أن يبين فيها سمو هذه العقيدة وصفاءها ورحابتها بيانًا شافيًا، وإن القارئ ليلمس صدق دعوته في كتبه ورسائله التي ألفها.

وقد حضرت مناقشة رسالته في مرحلة الدكتوراه في دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة بمصر، وكان يسعىٰ في عامة مباحثها إلىٰ بيان صفاء عقيدة السلف الصالح وسلامة منهجها، وتجلت شخصيته العلمية في قدرته -أثناء

المناقشة- علىٰ كشف زيف كل منهج خرج عن عقيدة السلف، وبطلان كل دعوة صوبت نحو دعاتها المخلصين الذين أفنوا أعمارهم في خدمتها والوقوف عندها والدعوة إليها، ودحض كل مقالة أو شبهة يحاول أهل الباطل النيل بها من هذه العقيدة».

* **وكتب فضيلة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس المدرس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض -وفقه الله-:** «فإن فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي -رحمه الله رحمة واسعة- كان فيما علمت من أشد المدافعين عن عقيدة السلف الصالح -رحمهم الله جميعًا- الداعين إليها، الذابين عنها في الكتب والمحاضرات والندوات.

وكان شديدًا في الإنكار علىٰ من خالف عقيدة السلف الصالح، وكأنما قد نذر حياته لهذه العقيدة تعلمًا وتعليمًا وتدريسًا ودعوة، وكان يُدرك أهمية هذه العقيدة في حياة الإنسان وصلاحها، كما كان يُدرك خطورة البدع المخالفة لهذه العقيدة علىٰ حياة الفرد والمجتمع؛ فرحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة، وغفر له ولجميع المسلمين ... آمين يا رب العالمين».

ممَّا سبق من كلام أهل العلم والفضل عن الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تظهر مكانته العلمية وجهوده وجهاده في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ منذ ما يقرب من أربعين عامًا، وصلته الوثيقة بالعلماء، واهتمامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعنايته بتقرير وبيان العقيدة السلفية، والرد علىٰ المبتدعة المتنكبين لصراط السلف الصالح، ودحض شبههم الغوية، حتىٰ يكاد -يرحمه الله تعالىٰ- لا يُعرف إلا

بالعقيدة وذلك لعنايته بها.

هذا وكانت له مشاركة في علم التفسير والفقه مع المعرفة التامة باللغة العربية.

*** ذكر بعض مؤلفاته -رحمه الله تعالى-:**

- منها كتاب «**الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه**»، وهو من أنفع كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- وكتاب «**أضواء علىٰ طريق الدعوة إلىٰ الإسلام**»، ويحتوي هذا الكتاب علىٰ عدة محاضرات فيها تقرير العقيدة السلفية وعرض للدعوة في إفريقيا، وذكر لمشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث مع وضع الحلول المناسبة لتلك المشاكل ورد علىٰ الصوفية.

- وكتاب «**مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة**»، وقد احتوىٰ علىٰ مجموعة من رسالة الشيخ والبحوث التي كان ينشرها، وإن كان قد طبع أغلبها مفردًا.

- ورسالة بعنوان «**المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية**»، وهي في الأصل محاضرة ألقاها في السودان سنة ١٣٨٣هـ، ورد فيها علىٰ الملحد محمود محمد طه.

- ورسالة بعنوان «**حقيقة الديموقراطية وأنها ليست من الإسلام**»، وهي في الأصل محاضرة ألقاها سنة ١٤١٢هـ.

- ورسالة بعنوان «**حقيقة الشورىٰ في الإسلام**».
- ورسالة بعنوان «**العقيدة الإسلامية وتاريخها**».
- ورسالة بعنوان «نظام الأسرة في الإسلام».
- ورسالة بعنوان «منزلة السنة في التشريع الإسلامي».

*** ذكر بعض تلاميذه:**

رجل هذه مكانته عند ذوي العلم، وهذه جهوده في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وحبه لهذه العقيدة السلفية الخالدة التي أوذي في سبيل نشرها وتقريرها في نفوس المسلمين، سواء في داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها يصعُبُ حصر طلبته وتلاميذه.

وكان من أبرز طلبته كل من:

* فضيلة الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-.

* وفضيلة الشيخ زيد بن هادي المدخلي -حفظه الله-.

* وفضيلة الشيخ الدكتور علي بن ناصر فقيهي المدرس بالمسجد النبوي -حفظه الله-.

* وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد بن حمود الوائلي المدرس بالمسجد النبوي، ووكيل الجامعة الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي -حفظه الله-.

* وفضيلة الشيخ المحدث عبد القادر بن حبيب الله السندي رَحِمَهُ اللَّهُ.

* وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية -حفظه الله-.

* وفضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي المدرس بالجامعة الإسلامية -حفظه الله-.

* وفضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد العزيز السندي -حفظه الله-.

* وفضيلة الشيخ الدكتور صالح الرفاعي.

* وفضيلة الشيخ الدكتور فلاح إسماعيل المدرس بجامعة الكويت -حفظه الله-.

* وفضيلة الشيخ الدكتور فلاح بن ثاني المدرس بجامعة الكويت -حفظه الله-.

وآخرين يصعب حصرهم.

*** ذكر بعض أخلاقه الفاضلة:**

١- **كان -رحمه الله تعالىٰ- ناصحًا** -فيما نحسب- لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويظهر ذلك بأدنىٰ تأمل.

فقد نذر حياته في تقرير عقيدة السلف الصالح، وذلك من خلال دروسه وتآليفه ومحاضراته وردوده علىٰ المخالفين للكتاب والسنة، وكان

عادلًا في رده علىٰ المخالف مجانبًا للعصبية والهوىٰ.

٢- **قلة مخالطته الناس:** كان -رحمه الله تعالىٰ- معروفًا بقلة مخالطته للناس إلا في الخير، فأغلب أوقاته وأيامه محفوظة، وطريقته في ذلك معروفة إذ يخرج من البيت إلىٰ العمل بالجامعة، ثم يعود إلىٰ البيت، ثم إلىٰ المسجد النبوي الشريف لإلقاء دروسه بعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء وبعد الفجر، وهكذا إلىٰ أن لازم الفراش بسبب اشتداد المرض.

٣- **عفَّة لسانه:** كان -رحمه الله تعالىٰ- عفَّ اللسان، لا يلمز ولا يطعن ولا يغتاب، بل ولا يسمح لأحد أن يغتاب أحدًا بحضرته، ولا يسمح بنقل الكلام وعيوب الناس إليه، إذا وقع بعض طلبة العلم في خطأ طلب الشريط أو الكتاب فيسمع أو يقرأ، فإذا ظهر له أنه خطأ قام بما يجب علىٰ مثله من النصيحة.

٤- **عفوه وحلمه:** فبقدر ما واجه من الأذىٰ والمحن والكيد والمكر؛ قابل من أساء إليه بالحلم والعفو، وقد كان يأتيه بعض من كان ينال من عرضه بالسب أو الطعن أو الافتراء فيستسمح منه، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: أرجو الله تعالىٰ ألا يدخل أحدًا النار بسببي، ويسامح من يتكلم في عرضه ويقول: لا داعي لأن يأتي من يعتذر فإني قد عفوت عن الجميع، ويطلب من جلسائه إبلاغ ذلك عنه.

٥- **عنايته وتعهده بطلبته:** فقد كان -رحمه الله تعالىٰ- من الذين يولون طلابهم عناية خاصة لا تنتهي بانتهاء الدرس، بل كان يحضر مناسباتهم ويسأل

عن أحوالهم، ويعالج بعض مشاكلهم الأسرية.

وبالجملة؛ فلقد كان يبذل ماله وجاهه ووقته لمساعدة المحتاج منهم، وكان هذا التصرف منه يترك أثرًا بالغًا عند طلابه، فرزق بسبب ذلك المحبة الصادقة منهم، وقد شعروا بعد موته بفراغ في هذه الناحية.

والحقُّ: أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اجتمعت فيه خصال خير كثيرة، وما نقلته آنفًا عن أهل العلم كافٍ، والله أعلم.

* عقيدته السلفية:

مما يدل علىٰ عقيدة الشيخ السلفية أنه كان يدرس كتب العقيدة السلفية مثل: «الواسطية»، و«الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ»، و«التدمرية»، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز، و«ثلاثة الأصول»، و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، و«قرة عيون الموحدين»، و«الأصول الستة»، و«الواجبات المتحتمات»، و«القواعد المثلىٰ»، و«تجريد التوحيد» للمقريزي.

ورده علىٰ أهل البدع كالأشاعرة والصوفية والشيعة الروافض، وذلك في كتبه ومقالاته في المجلات العلمية وفي محاضراته ودروسه، وانظر علىٰ سبيل المثال كتابه: «أضواء علىٰ طريق الدعوة إلىٰ الإسلام»، ومن خلال كلام أهل العلم السابق في بيان عقيدته السلفية.

*** مرضه وموته:**

لقد ابتلي في آخر عمره -رحمه الله تعالىٰ- بمرض عُضال حتىٰ ألزمه الفراش نحو عام فصبر واحتسب، وفي صبيحة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ١٤١٦هـ أسلمت روحه لبارئها، فصُلي عليه بعد الظهر ودُفن في بقيع الغرقد بالمدينة النبوية.

وشهد دفنه جَمْعٌ كبير من العلماء والقضاة وطلبة العلم وغيرهم، وبموته حصل نقص في العلماء العاملين، فنسأل الله تعالىٰ أن يغفر له ويرحمه ويخلف علىٰ المسلمين عددًا من العلماء العاملين ... آمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[الأصل الأول: الإخلاص]

مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ، وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدْرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ، بَيَّنَهَا الله تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذْكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ.

الأَصْلُ الأَوَّلُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ لله تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ.

قَالَ المُصَنِّفُ: «مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ، وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدْرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ، بَيَّنَهَا الله تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذْكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ».

الشرح: أي بيَّنهما بالأسلوب الذي يفهمه العوام، ثم بعد هذا البيان الشافي الذي يفهمه حتىٰ العوام، غلط فيها أي في «هذه الأصول» أذكياء العالم =

....

وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل، وذلك بعدم دراستهم للكتاب والسنة، وأنهم لم يرفعوا رءوسهم ليتعلموا ما جاء به النبي ﷺ، واشتغلوا بعلوم أخرىٰ قد يكون الاشتغال بها نافعًا وقد يكون ضارًّا، ولكن أُهمِل هذا الأصل العظيم وهو معرفة ما جاء به النبي ﷺ في هذا الباب.

قَالَ المُصَنِّفُ: «الأَصْلُ الأَوَّلُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ».

الشرح: لا يشك أحد أن كلَّ مسلم يدعي الإخلاص لله تعالىٰ، ولكن المهم التطبيق العملي، وهو معرفة الدين ومعرفة العبادة، ومعرفة أنواع العبادة، ومعرفة الشرك وأنواع الشرك، وهذه المعرفة التفصيلية هي التي تنقص كثيرًا من العقلاء والأذكياء، وإن كانوا عقلاء وإن كانوا أذكياء يفهمون أمورًا كثيرة في دينهم، لكن تنقصهم هذه المعلومات التفصيلية في هذا الباب.

قَالَ المُصَنِّفُ: «وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ».

الشرح: فالقرآن كله في التوحيد من أوله إلىٰ آخره؛ إما أنه يدعو إلىٰ إفراد الله تعالىٰ بالعبادة، وإما أنه يُبين جزاء من وحَّد الله ﷻ في الدنيا والآخرة كيف يكرمهم الله في الدنيا إن شاء، وقد يمتحنهم إن شاء، وما أعد لهم في الآخرة، وجزاء وعقوبة من أعرض عن التوحيد كيف عاقبهم الله ﷻ في الدنيا وفي الآخرة عذاب شديد إلىٰ غير ذلك.

....

=

والقرآن كله في هذا الشأن(١)، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتىٰ:

- يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، أمروا بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، ولم يؤمروا بالدين الذي لا إخلاص فيه.

- يقول الله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، وهكذا القرآن كله بأساليب مختلفة عالج مشكلة الشرك والدعوة إلىٰ الإخلاص. =

(١) يقول ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣ / ٤٥٠): «بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولًا كليًّا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.

فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلىٰ عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبىٰ من العذاب؛ فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ توحيد، و﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ توحيد، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ توحيد، و﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ توحيد، و﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ توحيد، و﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ توحيد، و﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلىٰ طريق أهل التوحيد، و﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد...» إلخ.

ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظْهَر لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ.

- يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: **«أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»**[(١)].

وغيرها من النصوص التي جاءت في هذا المعنىٰ وأُهملت عند كثير من المتعلمين والمثقفين، لذلك قد يقعون في الشرك من حيث لا يشعرون؛ إما شرك في شعائر العبادة كما هو واقعٌ في كثير من أتباع المتصوفة[(٢)]، أو الشرك في الطاعة والاتِّباع، كما هو شأن كثير من القانونيين.

قَالَ المُصَنِّفُ: «ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظْهَر لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ».

الشرح: والذي صار هو إعراض عن تعلُّم هدي رسول الله ﷺ كما أشرنا؛

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (ح ٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الصوفية: اختلف في اشتقاقها، والصحيح أنها مشتقة من لبس الصوف كما ذكره شيخ الإسلام، ولقد كان التصوف في أول أمره بمعنىٰ الزهد والاجتهاد في الطاعة والعبادة، إلا أنه تشعبت طرقه وكثرت طوائفه ومسمياته، فعج بالبدع والخرافات والمنكرات، وكثر فيه الزنادقة، وأصبح للقوم فيه مصطلحات ومعتقدات يؤدي بعضها إلىٰ الكفر والخروج من الملة كالقول بالاتحاد ووحدة الوجود، وغيرها من البدع نسأل الله العافية. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١١).

وأظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين، والتقصير في حقوقهم، ومن رأوه يخلص العبادة لله تعالىٰ اتُّهم بالتقصير، واتُّهم بتنقص الصالحين، وأنه يقصر في حقوقهم، وهم قد جعلوا للصالحين حقوقًا عظيمة، أعظم من حق الله تعالىٰ، وحق الله تعالىٰ علىٰ عباده -كما يعلم الجميع- أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا[1].

وما هي حقوق الصالحين التي يتهم من أخلص العبادة لله ﷻ بأنه ضيَّعها وأنه قصر فيها؟ وأين جاء ذكرها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتىٰ شغلت بال كثير من الناس؟

صحيحٌ أن الصالحين من عباد الله، والصالحين الواجب علينا محبتهم في الله؛ لكن فليسبق ذلك محبة الله، وألا يُحَبّوا مع الله، وليس من حقوق الصالحين أن يحب الرجل الصالح مع الله؛ حتىٰ يجعل شريكًا لله؛ بل من حقِّه علينا أن نحبه في الله.

(١) كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عند البخاري (ح ٢٨٥٦)، ومسلم (ح٣٠) قال: «كنت ردف رسول الله ﷺ علىٰ حمار يُقال له عُفَيْر فقال: يا معاذ تدرىٰ ما حق الله علىٰ العباد وما حق العباد علىٰ الله.

قال: قلت: الله ورسوله أعلم!

قال: فإن حق الله علىٰ العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد علىٰ الله ﷻ ألَّا يعذب من لا يشرك به شيئًا.

قال: قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا».

....

=

والتفريق بين الأمرين هذا هو الذي قصَّر فيه كثير من الأذكياء كما قال المؤلف، حتىٰ إنهم لم يفرِّقوا بين الحب في الله والحب مع الله، والذي يجري الآن في الغالب الكثير في المجتمعات الإسلامية لدىٰ أضرحة من سموهم بالصالحين؛ الحب مع الله لا الحب في الله، والحب مع الله من أعظم أنواع الشرك الأكبر.

فمن أحب غير الله مع الله، وعظمه كما يعظم الموحدون رب العالمين، وتذلَّل له كما يتذلل الموحِّد لله ﷻ، وبالغ في تعظيمه إلىٰ درجة اعتقاد أنه يعلم ما في الصدور، وأنه ينفع ويضر، هذا هو الشرك الأكبر الذي تورط فيه كثير من عوام المسلمين؛ لدىٰ كثيرٍ من أضرحة الصالحين، أو غير الصالحين، وشجعهم علىٰ ذلك كثير من المنتسبين إلىٰ العلم، وزينوا لهم أن ما يفعلونه عند قبور الصالحين من الطواف بها، والذبح لها، والنذر لها، كل ذلك من محبة الصالحين، ومن التوسل بالصالحين، وليست من العبادة في شيء، فهذا هو الواقع.

وكأن المؤلف لهذه الأصول يدرس أحوال المسلمين وواقع المسلمين اليوم وخصوصًا في خارج هذا البلد.

فمن أخلص لله ﷻ، وحارب عبادة غير الله والتذلل لغير الله، وابتعد عن الطواف بالأضرحة والذبح لها، فإن ذلك يكون -عندهم- من تنقص الصالحين ومن التقصير في حقوقهم.

=

....

وأظهر لهم الشيطان الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباع الصالحين، فأظهر لهم الشرك بالله بأن يطوف بأضرحة الصالحين، وأن يستغيث بهم، ويستعين بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله، ويعتقد فيهم أنهم يتصرفون، كما تُصرِّح بذلك كتب المتصوفة؛ بأن أولياء الله تعالىٰ مشغولون بالخدمة في حياتهم -المراد بالخدمة العبادة-، فإذا ماتوا تفرغوا ليتصرفوا في هذا الكون لأتباعهم؛ أي: في خدمة أتباعهم، في نفعهم ودفع الضر عنهم، وهذا شركٌ بواح.

وهذا ما تدعو إليه كثيرٌ من كتب المتصوفة.

فهكذا أظهر لهم الشيطان، وانقلبت الحقائق لدىٰ كثير من عوام المسلمين.

❊ ❊ ❊

[الأصل الثاني:
الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرق]

الأصلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بالاجتماع فِي الدِّينِ، ونَهىٰ عنِ التفرُّقِ فِيه، فبيَّن الله هَذا بَيانًا شَافيًا تفهمُهُ العوامُّ.

قَالَ المُصَنِّفُ: «الأصلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بالاجتماع فِي الدِّينِ، ونَهىٰ عنِ التفرُّقِ فِيه، فبيَّن الله هَذا بَيانًا شَافيًا تفهمُهُ العوامُّ».

الشرح: فقد أمر الله ﷻ أمرًا صريحًا ونهىٰ نهيًا صريحًا بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وهذه عبارة صريحة يفهم معناها كل من يفهم اللغة العربية، فليس هناك مفرد غريب يسأل عنه الإنسان، إلا إذا كان لفظة ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾؛ فمعنىٰ حبل الله: أي اعتصموا بدين الله، وبكتاب الله، وبهدي رسول الله ﷺ، وبما جاء به رسول الله ﷺ، وهذا الاختلاف اختلاف تنوعي، والمعنىٰ واحد، واعتصموا بما جاء به محمدٌ رسول الله ﷺ.

ثم فسَّر هذا الاعتصام بقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ فالجملة الثانية تفسير للجملة الأولىٰ؛ أي: لا تفرقوا في الدين، ولا تكونوا فِرقًا وأحزابًا وجماعات. =

ونَهانا أن نكُونَ كالذِينَ تفرَّقوا واختَلفُوا قَبْلنا فَهَلَكُوا.

هل هناك أمرٌ أصرح من هذا الأمر؟

وهل هناك نهيٌ أصرح من هذا النهي عن التفرق؟

ومع ذلك كَثُرَ الذين يغالطون هذه الأوامر الصريحة، بإيجاد جماعات متفرقة؛ وانتماءات مختلفة؛ فإذا ذُكِرَت هذه الآية غالطوها مغالطة، وقالوا: كلنا في الدين! فإذا كانت الجماعات كلها في الدين فلماذا الاختلاف؟!

وهذه المغالطة الصريحة ضرَّت كثيرًا من شبابنا؛ حيث زعم الزاعمون أن الجماعات الكثيرة التي في الساحة تتعاون في الدين، وتتعاون في سبيل الله، وهل الله ﷻ قال تفرقوا ؟!

أو قال اعتصموا ولا تفرقوا ؟!

إن لم تكن الجماعات الموجودة في الساحة مضادة لهذه الآية الصريحة فكيف تُفهم الآية؟!!

هذا ما يريده المؤلف بقوله: «**أَمَرَ اللهُ بالاجتماع فِي الدِّينِ، ونَهىٰ عنِ التفرُّقِ فِيه، فبيَّن الله هَذا بَيانًا شَافيًا تفهمُهُ العوامُّ**»؛ أي: العوام الذين سلموا بفطرهم من التشويش والتهييج، ويعيشون بعيدًا عن الانتماءات والجماعات، فيفهمون فهمًا واضحًا لا لبس فيه.

قَالَ المُصَنِّفُ: «ونَهانا أن نكُونَ كالذِينَ تفرَّقوا واختَلفُوا قَبْلنا فَهَلَكُوا».

الشرح: أي نهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا من اليهود والنصارىٰ الذين افترقوا إلىٰ فرق.

=

....

وقد بيَّن النبي ﷺ أن هذه الأمة تحذو حذو اليهود والنصارىٰ في التفرق[1]، وستتفرق ولابد؛ لأن ذلك سبق في علم الله، وإن لم يكن مأمورًا به، ولكنه شيء قد علمه الله وكتبه عنده؛ إذ لا يقع في هذا الكون من خيرٍ وشرٍّ إلا بعلم الله تعالىٰ السابق، وفي كتابه السابق، وبمشيئته العامة، وكل ذلك داخلٌ في باب القضاء والقدر، فليس كل ما يقع فهو محبوب عند الله.

بل إذا كنا نُفرِّق بين الإرادة الشرعية الدينية وبين الإرادة الكونية، فهذا واقع بإرادة الله الكونية لا بإرادته الشرعية، أي: إن الله ﷻ أمر الناس جميعًا بالإيمان، وهل آمن الجميع؟

الجواب: لا.

وقد أمر الناس جميعًا بالصلاة وهل صلىٰ الجميع؟

الجواب: لا.

(١) أخرج أحمد (ح ٨٣٦٩)، وأبو داود (ح ٤٥٩٦)، والترمذي (ح٢٦٤٠-٢٦٤١)، وابن ماجه (ح٣٩٩١-٣٩٩٣) عنه ﷺ -وبعضهم يزيد فيه علىٰ بعض- أنه قال: **«افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة؛ وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة؛ وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة»**. زاد الترمذي: «قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي**».

وعند أبي داود وابن ماجه: «**كلها في النار إلا واحدة؛ وهي الجماعة**»؛ والحديث صحيح.

انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (ح٢٠٣).

....

إذن؛ الأمر الديني والإرادة الدينية الشرعية قد يتحقق مضمونها وقد لا يتحقق.

أما ما أراده الله كونًا وقدرًا فلابد من وقوعه شرًّا كان أو خيرًا، كفرًا أو إيمانًا، معصيةً أو طاعةً، ولا يدل وقوعه بأنه محبوب عند الله ﷻ، فالكفر الذي وقع بإرادة الله الكونية ليس محبوبًا عند الله؛ بل إن الله ﷻ لا يرضىٰ لعباده الكفر، وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر.

وكل ذلك واقع بإرادته الكونية غير الإرادة الشرعية الدينية؛ أي: ليس بمأمور به ولا محبوبًا عند الله، لذلك لمَّا أخبر النبي ﷺ بأن هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة لابد من وقوع ذلك، ولا يدل وقوعه علىٰ أنه أمر محبوبٌ عند الله ﷻ وإن كان واقعًا بإرادته الكونية، بل هو منهيٌّ عنه، وإخبارُ النبيﷺ عن وقوع ذلك ليصدُق قولهﷺ.

ثم أخبر بأنها كلها في النار إلا واحدة؛ وهي الفرقة الناجية، ليدل ذلك علىٰ أن هذا التفرق ليس بمحبوبٍ عند الله، وهذه الطائفة هي التي كانت وتمسكت وصبرت علىٰ ما كان عليه رسول اللهﷺ وأصحابه؛ وهي الجماعة، سواءٌ كان لها إمام أو لم يكن لها إمام، فإن وجدت جماعة ولها إمام، فعلىٰ كل مسلم أن ينضم إلىٰ هذه الجماعة، ويعيش تحت طاعة هذا الإمام، وإن وجدت جماعة في مكان ما ليس لها إمام عليه أن يعيش مع هذه الجماعة، وإن لم توجد جماعة المسلمين المتمسكة بدين الله، الفاهمة لشرع الله، فليعش

....

ولو كان وحيدًا فهو الأمة وهو الجماعة[(١)].

أما تفسير هذه الجماعات بأنها الجماعة[(٢)]، والتلبيس على الناس فهذا غلط، وهذا أمر لا يليق بطالب العلم، فإن هذه الجماعات غير الجماعة، ونحن مأمورون بأن نكون جماعة واحدة، ولا يجوز أن نكون جماعات، فإذا وجدت جماعة المسلمين ولهم إمام، حَرُمَ إيجاد جماعات أخرى؛ لأن الجماعات الأخرى وهي «الجماعات السياسية» تنافس الإمام القائم الموجود، والإسلام شدد في هذا الأمر غاية التشديد، كما في الحديث: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[(٣)].

والجماعات السياسية عندما توجد وتنشأ إنما تعني إيجاد من يبايع، ووجود من ينافس في الحكم القائم، ومنافسة الحكم القائم -على أي حال كان الحاكم القائم عادلًا كان أو فاجرًا-، طالما جمع الله المسلمين على يده، يحرُم منافسته، أو إيجاد من ينافس هذا الحكم.

وإن الجماعات الكثيرة الموجودة في الساحة الآن من هذا القبيل وإن ادَّعت أنها جماعات للدعوة إلى الإسلام، والواقع يشهد أنها جماعات سياسية،

(١) وقد ورد في ذلك الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه عنه رضي الله عنه أنه قال: «الجماعة الكتاب والسنة وإن كنت وحدك». وسنده صحيح.

(٢) أي بأنها هي الجماعة الواردة في النص، وأنها محمولة عليها.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (ح ١٨٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وذَكَرَ أنهُ أَمَرَ المُسلمينَ بالاجتمَاعِ في الدِّين، ونَهاهُم عَن التفرُّقِ فِيهِ.

ويزيدُهُ وضُوحًا مَا وَردَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجبِ العُجابِ فِي ذَلك، ثُم صارَ الأمرُ إلىٰ أنَّ الافترَاقَ في أصُولِ الدِّين وفُروعِهِ هُو العِلمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ.

وليست جماعات للدعوة، ولو كانت للدعوة لَمَا حصل الاختلاف، فالدين واضح، والمنهج واضح، فلماذا تتنافس الجماعات وتعمل عملها في الغالب سرًّا؟

معنىٰ ذلك أن هناك منافسة سياسية، وأحقادًا سياسية، تُلَبِّس علىٰ الشباب أمر دينهم حتىٰ لا يفهموا الحق من الباطل، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[آل عمران:١٠٥]؛ أي: لا تكونوا كأولئك الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات؛ فالدين لا لبس فيه ولا غموض، لا في أصوله ولا في فروعه، لا في عقيدته ولا في شريعته، ولذلك ما نعيشه اليوم من هذا التفرق الخطير يصطدم مع هذه النصوص الصريحة، وهذا ما يستغرب منه المصنف.

قَالَ المُصَنِّفُ: «وذَكَرَ أنهُ أَمَرَ المُسلمينَ بالاجتمَاعِ في الدِّين، ونَهاهُم عَن التفرُّقِ فِيهِ.

ويزيدُهُ وضُوحًا مَا وَردَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجبِ العُجابِ فِي ذَلك».

الشرح: قال النبي ﷺ: «إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا: أن تعبدوا الله ولا تشركوا

به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا لولاة الأمر»[(١)] أو كما قال ﷺ.

وهذا حديث صحيح مؤيدٌ للآية السابقة، فالكتاب والسنة اجتمعا على الأمر بالاعتصام والنهي عن التفرق.

قَالَ المُصَنِّفُ: «ثُم صارَ الأمرُ إلىٰ أنَّ الافترَاقَ في أصُولِ الدِّين وفُروعِهِ هُو العِلمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ».

الشرح: والافتراق في أصول الدين وقع أول ما وقع بعد انقضاء القرون المفضلة[(٢)]، وتوسع هذا التفرق في عهد العباسيين -كما هو معلوم-، وسبب تفرق المسلمين إلىٰ هذه الفرق نشأة علم الكلام[(٣)]، ووجود التصوف في أول الأمر.

فقد ذكر شيخ الإسلام[(٤)] أن التصوف أول ما وجد وظهر في البصرة،

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح ٨٣٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكذلك أخرجه مسلم في الصحيح (ح ١٧١٥)، من غير ذكر «وأن تنصحوا لولاة الأمر»، وراجع سلسلة الأحاديث الصحيحة (ح ٦٨٥).

(٢) ومراد الشيخ هنا التفرق المذموم لا التفرق الذي حصل في مسائل الاجتهاد.

(٣) علم الكلام: هو العلم الذي يقوم علىٰ إثبات العقائد الدينية عن طريق الأدلة العقلية بإيراد الحجج ودفع الشبه. انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٣٣٦).

وقد أجمع السلف علىٰ ذم الكلام وأهله، وألفوا في ذلك الكتب.

(٤) شيخ الإسلام: هو الإمام العالم الرباني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة، بحر العلوم: تقي الدين ←

علىٰ أيدي عباد تقشفوا وزهدوا في الدنيا وانقطعوا لعبادة الله تعالىٰ، ولكن لمَّا كان هذا التقشف والزهد علىٰ جهل زين لهم الشيطان بعض الأعمال.

فأول ما بدءوا به لبس الصوف، وقاطعوا القطن والكتان، وظهروا واشتهروا بلبس الصوف، ولذلك قيل لهم: الصوفية، نسبة إلىٰ الصوف، وإن زعم من زعم منهم أن نسبة الصوفية إلىٰ الصُّفة، وأنهم من أهل الصُّفة الذين كانوا في مسجد النبي ﷺ، فهذا غلط حتىٰ من الناحية اللغوية؛ فالنسبة إلىٰ الصفة (صُفيٌّ) وليس (صوفِيٌّ).

وكذلك الدعوىٰ بأن التصوف نسبة إلىٰ الصفاء، فهذا غلطٌ معنًىٰ ولغةً؛ لأن النسبة إلىٰ الصفاء (صفائيٌّ)[1].

وهُنا صوفي نسبة إلىٰ الصوف، وليس هناك صفاء، بل هناك ما يخالف الصفاء!

أبو العباس، أحمد ابن الشيخ الإمام شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي ابن تيمية الحراني الدمشقي، نزيل دمشق، صاحب التصانيف الكثيرة، التي لم يُسبق إلىٰ مثلها، منها: «درء تعارض العقل والنقل»، و«منهاج السنة النبوية»، و«بيان تلبيس الجهمية»، وغيرها.

ولد بحران سنة ٦٦١هـ وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ في سجن القلعة بدمشق سنة ٧٢٨هـ [وانظر للاستزادة من ترجمته: «العقود الدرية» لتلميذه ابن عبد الهادي، وانظر: «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» لـ(محمد عزيز وعلي العمران)].

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام (٥/ ١١ وما بعدها).

....

فنشأت هذه الفرقة علىٰ التصوف ثم دخل فيهم الزنادقة[١]، وكثر الابتداع إلىٰ أن انتهىٰ أمرهم إلىٰ إحداث وحدة الوجود[٢].

كجماعة ابن عربي[٣]، وابن الفارض[٤]، ....

(١) الزندقة: كلمة فارسية معربة، وهي في اصطلاح العلماء لا تعني حركة لها أتباع، بل تعتبر صفة لتصرف فردي خارج عن الأعراف وعن القيم الدينية والتقاليد الموروثة، وقد ارتبطت هذه التسمية باسم الحلاج الذي قاد ثورة الزنج فتم صلبه، وكذلك من أشهر من وصفوا بالزندقة في التاريخ الإسلامي العربي: ابن الراوندي، وجابر بن حيان، والرازي، ومعبد الجهني، وبشار بن برد الشاعر المعروف.

والزنادقة لا يؤمنون بدين ولا يقرون بإله، ولا يعترفون بيوم البعث، ولا يؤمنون بوحدانية الخالق. [انظر: الموسوعة العربية (٢/ ١٧٥)].

(٢) وحدة الوجود: هي عقيدة إلحادية -عياذًا بالله- تأتي بعد التشبع بفكرة الحلول في بعض الموجودات، ومفادها أنه لا شيء إلا الله وكل ما في الوجود يمثل الله ﷻ؛ أي: لا انفصال بين الخالق والمخلوق، وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله -تبارك وتعالىٰ-، ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه ألبتة، وهي فكرة هندوسية بوذية مجوسية، وهذا هو مذهب ابن عربي الزنديق الذي قال: سبحان الذي خلق الأشياء وهو عينها، وقال غير ذلك من مقالاته التي ملأت كتبه، والتي تشهد بأن الرجل زنديق مات علىٰ زندقته.

[وانظر: كتاب «عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية» لـ. د أحمد القصير].

(٣) ابن عربي: هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي المرسي، الملقب بالشيخ الأكبر المشهور بابن عربي عند أهل المشرق، ولد سنة (٥٦٠)، ومات سنة (٦٣٨)، وهو زنديق من أكبر دعاة وحدة الوجود.

[انظر: «السير» (٢٣/ ٤٨)، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٥٩)].

(٤) ابن الفارض: هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار ←

وابن سبعين[1]، وابن عجيبة[2]، هؤلاء الأبناء غير البررة هم الذين أفسدوا علىٰ كثير من المسلمين دينهم وعبادتهم.

ومن ثَمَّ حدث التفرق في أصول الدين أي في باب العقيدة، علىٰ يد علماء الكلام لَمَّا نشطت المعتزلة[3] في عهد المأمون ....

والوفاة، ولد سنة (٥٧٦)، وهو من أصحاب وحدة الوجود وهو القائل -قبحه الله-:

ومـــا الكلـــب والخنزيـــر إلا إلهـــنا ... ومـــا الله إلا راهـــب فـــي كنيـــسته!!

مات سنة (٦٣٢) بالقاهرة.

[انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٥٤)].

(١) ابن سبعين: هو أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد الإشبيلي المرسي الرقوطي الأصل، الصوفي المشهور، ولد سنة (٦١٣) بالأندلس، ومات سنة (٦٦٧) بمكة مات منتحرًا بقطع شرايين يديه، وهو من فلاسفة الصوفية وملاحدتهم.

[انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ٣٢٩)].

(٢) ابن عجيبة: هو أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الحسني الأنجري، من مشايخ الطريقة الشاذلية من أهل المغرب، ولد سنة (١١٦٠)، ومات سنة (١٢٢٤).

[انظر: «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٤٥)].

(٣) المعتزلة: فرقة ضالة مبتدعة من فرق أهل الكلام، وسموا بذلك لاعتزال شيخهم واصل بن عطاء الغزال (ت١٣١هـ) مجلس الحسن البصري لمَّا أظهر بدعته، وهي القول: بأن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وهو في منزلة بين منزلتين، وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد، وقال الناس: إنهما اعتزلا قول الأمة، فسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة.

ويقال لهم القدرية لقولهم في القدر.

....

العباسي[(١)]، وما تبع ذلك من نشاط الأشاعرة[(٢)]، هذا الذي سبب للمسلمين

ومن معتقداتهم: القول بخلق القرآن، وإنكار رؤية الله تعالىٰ، وأن العبد قادر يخلق أفعاله خيرها وشرها، وقالوا: أن الفاسق إذا مات ولم يتب كان خالدًا مخلدًا في النار.

[انظر: «التنبيه والرد» (٤٩)، و«مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٣٥)، و«الملل والنحل» (١/ ٣٨)، و«الفرق بين الفرق» (٩٣)، وكتاب «المعتزلة وأصولهم الخمسة» لـ: عواد المعتق)].

(١) **المأمون**: هو أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي، أحد الخلفاء العباسيين ولد سنة (١٧٠هـ)، وهو أول خليفة دعا الناس إلىٰ القول بخلق القرآن وإلىٰ عقيدة المعتزلة بالقوة، حيث امتحن فيها العلماء من أهل الحديث والفقهاء والقضاة، وهددهم بالضرب والتعذيب، فمنهم من أجاب مكرهًا متأولًا، ومنهم من صبر علىٰ القول الحق كالإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة، وتوفي المأمون والإمام أحمد في الطريق إليه (سنة٢١٨هـ).

[انظر: «السير» (١٠/ ٢٧٢)].

(٢) **الأشاعرة**: فرقة من فرق أهل الكلام، وهم المنتسبون إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤) في طوره الثاني، وهو مذهب ابن كلاب واختيار بعض أقواله، ولا يخفىٰ أن الأشعري رجع عن هذا المذهب وعن مذهب الاعتزال إلىٰ مذهب أهل السنة -في الجملة-، كما بين ذلك في الإبانة وغيره، ولهذا يسمون الأشاعرة الكلابية.

ومن معتقداتهم: أن الإيمان هو التصديق، وقولهم في القدر بالكسب المفضي إلىٰ الجبر، ويقولون إن الله يرىٰ لا في مكان، ويثبتون صفات المعاني السبع، ويمنعون قيام الصفات الاختيارية بالله تعالىٰ، وغير ذلك من المعتقدات الباطلة.

[انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٧٢) (٥/ ٥٥٦)، وكتاب «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» لـ (د. عبد الرحمن المحمود)].

....

التفرق في أصول الدين؛ حتىٰ ضعف منهج السلف بعد محنة الإمام أحمد[1]، إلىٰ أن ظهر الإمام ابن تيمية، وصدع بالحق وانتصر لمنهج السلف، وأظهر الله علىٰ يده من تجديد هذا المنهج الذي ندرسه اليوم.

ومن عهد العباسيين إلىٰ يومنا هذا والناس في الغالب الكثير متفرقون في أصول الدين، وفي باب العبادة؛ لأنها دخلت عليهم وثنية التصوف في عبادة الله تعالىٰ، وعُبد غير الله مع الله، ودُعي غير الله مع الله كما تقدم.

وفي باب الأسماء والصفات جُعلَ نفي الصفات هو التوحيد، فمن أصول المعتزلة[2] الأصل الأول: التوحيد؛ وهو نفي الصفات.

(١) **الإمام أحمد**: هو الإمام الزاهد العالم الرباني إمام أهل السنة والجماعة، شيخ الإسلام والمسلمين؛ وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد بن إدريس، بن حيان الشيباني، صاحب المسند، (ولد سنة ١٦٤هـ) وتوفي -رحمه الله تعالىٰ- سنة (٢٤١هـ).

[انظر: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٧)، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي].

(٢) **أصول المعتزلة التي بنوا عليها مذهبهم خمسة وهي:**

١- **التوحيد**: ويقصدون به: نفي الصفات، ويثبتون الأسماء فقط.

٢- **العدل**: يقصدون به نفي القدر، وخلق العبد لأفعاله الاختيارية.

٣- **الوعد والوعيد**: ويقصدون به تخليد مرتكب الكبيرة في النار.

٤- **المنزلة بين منزلتين**: ويقصدون به أن صاحب الكبيرة بين الإيمان والكفر في الدنيا، وفي الآخرة ينفذون فيه الأصل الثالث إذا مات علىٰ ذلك؛ وهذا الأصل هو سبب اعتزال واصل بن عطاء لمجلس الحسن البصري.

←

وكذلك سمي الخروج علىٰ السلطان بـ«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وهكذا تفرَّق المسلمون بسبب هذه الفرق من عهد العباسيين إلىٰ يومنا هذا، ولكن الله لم يترك المسلمين ليضلوا جميعًا، بل كلما تحتاج الأمة إلىٰ التجديد، يقيض الله من يجدد لهذه الأمة دينها(١).

ولما اشتدت الفتنة في عهد المأمون العباسي، والمعتصم بالله(٢)، والواثق بالله(٣)؛ قيض الله لهذه الأمة إمام أهل السنة والجماعة وقامع البدعة ←

٥- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: ويقصدون به الخروج علىٰ ولاة الأمور.
[راجع في ذلك كتاب «المعتزلة وأصولهم الخمسة» لـ(عواد المعتق)].

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه (ح٤٢٩١): عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث إلىٰ هذه الأمة علىٰ رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»، وصححه الإمام المجدد الألباني في السلسلة الصحيحة (برقم٥٩٩).

(٢) **المعتصم بالله**: هو الخليفة أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، ولد سنة ١٨٠هـ وتوفي سنة ٢٢٧هـ، وقد امتحن الناس بالقول بخلق القرآن بعد وفاة المأمون امتحانًا شديدًا، وكتب بذلك إلىٰ الأمصار، وعذب وضرب عليه، وفي خلافته عُذِّب الأمام أحمد، وضُرب بالسياط حتىٰ زال عقله.
[انظر: «السير» (١٠/ ٢٩٠)].

(٣) **الواثق بالله**: هو الخليفة أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، ولد سنة ١٩٦هـ وتوفي سنة ٢٣٢هـ وولي الخلافة بعهد من أبيه. ←

أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فصبر واحتسب وأوذي وضُرب، حتىٰ أبقىٰ الله بصبره وتحمله علىٰ هذه العقيدة، ولكن السلفيين كما يقول المقريزي[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفرَّقوا في أنحاء الدنيا بعد محنة الإمام أحمد، حتىٰ جُهِل هذا المنهج.

ومما يلاحظ أن تجديد الإمام أحمد لم يقيض الله له مَن يؤازره، حتىٰ يظهر أثره في ذلك الوقت؛ لأن السلطة نفسها هي التي تعاديه، وجرت سُنَّة الله تعالىٰ بأن الحق لا يظهر ولا يثبت بين الناس إلا علىٰ يد رجلين اثنين:

* الداعية الشجاع الصريح الذي يصدع بالحق.
* والمؤازر الشجاع القوي الذي يتبنىٰ تلك الدعوة.

قال الخطيب: استولىٰ أحمد بن أبي دؤاد علىٰ الواثق، وحمله علىٰ التشدد في المحنة والدعاء إلىٰ خلق القرآن.

وقيل إنه رجع عن مذهبه قبل موته، والله أعلم.

[انظر: «السير» (١٠/ ٣٠٦)].

(١) المقريزي: هو الشيخ العلامة المؤرخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم المقريزي، ولد سنة ٧٦٦هـ وتوفي -عليه رحمة الله- سنة ٨٤٥هـ صاحب المصنفات الكثيرة؛ منها: «تجريد التوحيد»، و«السلوك لمعرفة دول الملوك»، و«مختصر الكامل» لابن عدي.

[انظر: «مختصر الكامل» له (٨٤٤)، و«المنهل الصافي» (١/ ٤١٥)، و«الضوء اللامع» (٢/ ٢١)].

وقد شرح الشيخ الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه «تجريد التوحيد»، وهو أول شرح للكتاب فيما أعلم، وسيطبع قريبًا بحول الله.

وإذا راجعنا التاريخ نجد أن رسول الله ﷺ عندما بدأ يدعو إلىٰ الله يعرض نفسه علىٰ القبائل، فيقول: «**من يحميني حتىٰ أُبلِّغ رسالة ربي**»(١).

فقيَّض الله له مَن يؤازره؛ ومن العجيب أن خير من آزره وأيده حتىٰ بلَّغ رسالة ربه، رجلٌ لم يؤمن برسالته، ولكنه عرف أن رسالته حق، ولكن منعه ما منعه من الأسباب التي ذكرها(٢).

ونجد الإمام أحمد كما قلنا لم يقيِّض الله له من يؤازر دعوته، لذلك لم يُستفد من تجديده الفائدة الملموسة في ذلك الوقت.

وجاء ابن تيمية بعده، فأوذي وهل قيض الله له من يؤازره؟ لا، مع أن المجتمع يحبه والسلاطين يحترمونه لشجاعته وعلمه، ولكن كان أعداؤه علماء السوء، وكانت لهم الشوكة، والسلطة تجاملهم، وكلما طلب علماء

---

(١) قطعة من حديث جابر رضي الله عنه أخرجه أحمد (ح ١٤٤٥٦)، وابن حبان (ح ٦٢٧٤- الإحسان)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٩/ ٩): عن أبي الزبير، عن جابر قال: «مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنىٰ يقول: **مَن يؤويني؟ من ينصرني؟ حتىٰ أُبلِّغ رسالة ربي وله الجنة...**» الحديث.
وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ٦٣).

(٢) والرجل المشار إليه هو عم النبي ﷺ أبو طالب، وهذه الأسباب جاء ذكرها في حديث أبي هريرة عند مسلم (ح ٢٥) قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «**قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة**. قال: لولا أن تُعيِّرَني قريشٌ، يقولون: إنما حَمَلَهُ علىٰ ذلك الجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بها عَيْنَكَ، فأنزل الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]».

السوء أن يُرَحِّلوه أو ينفوه إلىٰ القاهرة أو إلىٰ الإسكندرية، أو أن يسجنوه فعلت السلطة ذلك[١].

فلذلك لم يستفد من تجديده أيضًا الاستفادة المرجوة، ولا من مؤلفاته الكثيرة التي كأنها خيال من الخيالات في كثرتها، فلم يستفد منها في وقته.

ولكن لمَّا أراد الله أن يجدد هذا الدين في القرن الثاني عشر، قيَّض الله لهذا المجدد الأخير[٢] من يؤازره[٣]، وهذه المؤازرة هي التي جعلتنا نستفيد اليوم من تجديد الإمام أحمد، وتجديد الإمام أحمد بن تيمية؛ إذ كانت كتبهم ومؤلفاتهم مهجورة، بل أكثرها كانت قد هاجرت إلىٰ خارج بلاد المسلمين، ولكن مِن أَثَرِ هذا التجديد المبارك الذي نعيش أثره اليوم، جُمِعت تلك الكتب وطبعت ووزعت بين الناس وفي المكاتب، حتىٰ عرف الناس حقيقة الدين الإسلامي الذي جهله كثيرٌ من المثقفين.

(١) انظر أخبار سجنه بالقاهرة والإسكندرية في «العقود الدرية» (ص٢٦٥ وما بعدها).

(٢) هو الإمام العلامة، مجدد الدعوة السلفية، محمد بن عبد الوهاب، وقد سبقت ترجمته في أول الكتاب.

(٣) وهو الأمير الراشد محمد بن سعود أمير منطقة الدرعية وقتها، وذلك أن الشيخ بدأ دعوته في العيينة وناصره أميرها عثمان بن معمر أول الأمر، ثم خذله، فانتقل الشيخ إلىٰ الدرعية وآزره الأمير محمد بن سعود، وتعاهدا علىٰ إظهار العقيدة السلفية ونشرها بين الناس، وتمَّ لهما ذلك بفضل الله.

والذي يشهد لهذا أن أحد علماء الأزهر[(١)] بعد أن تخصص في علم الكلام والمنطق والفلسفة أراد أن يرد علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، فجمعت له كتبه ليرد عليه، فإذا به بعد ثلاثة أشهر من دراسة هذه الكتب يعلن أنه لم يعلم حقيقة ما جاء به النبي ﷺ إلا بعد دراسته لهذه الكتب، فتاب إلىٰ الله وكتب رسالة دكتوراه في الثناء علىٰ ابن تيمية، بعنوان: «ابن تيمية السلفي».

أقول: إن عدم دراسة المنهج السلفي الذي جُدد -بحمد الله- هذا التجديد الواسع، هو الذي جعل كثيرًا من الناس لا يزالون يجهلون حقيقة ما جاء به النبي ﷺ، لذلك هم يتفرقون في أصول الدين، وفي فروعه، فصار العالِمُ الحق والفقيهُ الحق عندهم هو من يُنكِرُ حقيقة ما جاء به النبي ﷺ.

وقد وَقَعْتُ علىٰ خبر في إذاعة عربية -بغير قصد- وفيه أن فتاة ناقشت دكتورًا كبيرًا ومشهورًا، لو ذكرنا اسمه لعرفه كثير من الحاضرين، ناقشته في الحلف بغير الله وهو يقول: لا نرىٰ ذلك، لا نرىٰ بأن الحلف بغير الله شرك، فتكرر الفتاة المناقشة وتذكر الأدلة.

فيقول: بعض المتشددين يرون بأن الحلف بغير الله شرك، أما نحن فلا نرىٰ ذلك -هكذا بـ(نون العظمة)- لا نرىٰ ذلك ولم يذكر دليلًا لرأيه؛

(١) وهو الشيخ العلامة محمد خليل هراس -رحمه الله تعالىٰ-، ورسالته المذكورة مطبوعة متداولة.

وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّين لا يقُولُه إلا زِنديقٌ أو مَجنُونٌ.

وهو دكتور!!

إذا كان يصل إلىٰ هذه الدرجة كثير من المتعلمين والدكاترة ولا يزالون يعتقدون بأن من يقول: بأن الحلف بغير الله شرك، وأن الاستغاثة، والذبح، والنذر شرك أن هؤلاء متشددون، فكيف يتفقه شبابنا في دين الله؟

وهذا ما يتعجب منه الذي جمع هذه الأصول، والله المستعان.

قَالَ المُصَنِّفُ: «وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّين لا يقُولُه إلا زِنديقٌ أو مَجنُونٌ!».

الشرح: وإن كانت هذه العبارة فيها نوع من الشدة ولكنه الواقع، فعندهم لا يدعو إلىٰ الاجتماع وعدم التفرق ووحدة المسلمين إلا إنسان ناقص في فهمه! وأما الإنسان المتطور أو الإنسان العصري العاقل الفاهم لا يدعو إلىٰ هذه الدعوة؛ لأن من دعا المسلمين اليوم إلىٰ الاجتماع وعدم التفرق، وعدم إيجاد جماعات، وعدم إيجاد قوانين مرنة، وأن يبقىٰ المسلمون في دينهم وعقيدتهم وأحكامهم علىٰ منهج واحد، فهذا يُنتَقَصُ الآن لدىٰ كثير من المثقفين وللأسف، ولدىٰ كثير من المتأثرين بالثقافة الغربية، الذين يرون أن العدالة كل العدالة في الديمقراطية الغربية[1]، وأن المسلمين تأخروا جدًّا ما لم يطبقوا هذه الديمقراطية.

---

(١) الديمقراطية: لفظة أجنبية يونانية، ومعناها: حكم الشعب، أو أن الشعب يحكم نفسه بنفسه. راجع كتاب «حقيقة الديمقراطية وأنها ليست من الإسلام» للشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الأصل الثالث:
[السمع والطاعة]

الأَصْلُ الثَّالِثُ: إِنَّ مِن تَمَامِ الاجْتِمَاعِ: السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا.

قَالَ المُصَنِّفُ: «الأَصْلُ الثَّالِثُ: إِنَّ مِن تَمَامِ الاجْتِمَاعِ: السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا».

الشرح: سبق أن ذكر في الأصل الثاني أمر الله ﷻ بالاجتماع في الدين ونهيه عن التفرق، وتقدم الكلام علىٰ وجوب الاجتماع في الدين، وعدم جواز التفرق، وأن التفرق يخالف روح الإسلام الذي جاء به النبيﷺ.

وفي هذا الأصل يقول: إن من تمام الاجتماع الذي تقدم ذكره السمع والطاعة؛ إذ لا يحصل الاجتماع، ولا تستقيم السلطة ولا الدين إلا بالسمع والطاعة؛ إذ الأمر بالسمع والطاعة لمن تأمر علينا يعتبر من الواجبات الأساسية في الإسلام، ولو كان هذا الأمير عبدًا حبشيًّا[1]؛ أي: بصرف النظر عن موقع

---

(١) أخرج أبو داود (ح ٤٦٠٧)، والترمذي (ح ٢٦٧٦)، وابن ماجه (ح ٤٣)، عن العرباض بن ←

فَبيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوجُوهٍ مِنْ أَنْوَاعِ البَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ؟

ومكانة هذا الوالي، ومن أي جنس كان، ومن أي لون كان، عادلًا كان أو فاجرًا ، ولا يشترط أن يكون الوالي الذي تجب طاعته، والسماع له، والولاء له، والدعوة له، أن يكون عادلًا، بل من تولىٰ أمور المسلمين، وجمع الله علىٰ يده كلمة المسلمين؛ وجبت طاعته والسمع له.

قَالَ المُصَنِّفُ: « **فَبيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوجُوهٍ مِنْ أَنْوَاعِ البَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا** ».

الشرح: بيَّن النبي ﷺ ذلك بيانًا شائعًا ذائعًا بين المسلمين قديمًا وحديثًا، وبكل وجه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا؛ شرعًا بما شرعه الله، وما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقدرًا فيما قدَّره الله.

وما أراده الله شرعًا ودينًا ودعا إليه وأمر به ليس بلازم أن يتحقق؛ إذ قد

سارية قال: «صلىٰ بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟

فقال: أوصيكم بتقوىٰ الله، والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

انظر: السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٩٣٧).

....

أمر الله الناس جميعًا بالإيمان، ولم يؤمن الجميع، وأمر العباد جميعًا بالطاعة، فأطاع من أطاع وخالف من خالف، ولكن الإرادة التي لا يتخلف مرادها هي الإرادة القدرية الكونية.

إذن؛ هناك فرقٌ بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، فالله ﷻ يريد بالإرادة الكونية: الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، والخير والشر؛ إذ لا يقع في ملكه إلا ما يشاء.

ومن الخطأ اعتقاد بعض الناس أن الله ﷻ إنما يريد الخير فقط، فمن يقول هذا: إن أراد بالإرادة -الإرادة الشرعية الدينية- فصحيح، ولكن الإطلاق ينصرف إلىٰ الإرادة الكونية القدرية، ويريد الله ﷻ بهذه القدرة كل كائن إذ لا يكون في ملكه إلا ما يشاء، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قَالَ المُصَنِّفُ: «ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ؟!».

الشرح: إذا كان العلم نفسه مفقود فالعمل من باب أولىٰ.

وربما علم بعضهم إن الطاعة والسمع إنما تجب إذا كان الوالي عالمًا عادلًا تجب طاعته، وتجب بيعته، ويجب السمع له، وإذا كان بخلاف ذلك فلا طاعة ولا سمع ولا بيعة له.

وهذه من الأخطاء الشائعة بين الناس اليوم، وهذا خطأ شرعًا وعقلًا، فمن رزقه الله العقل السليم؛ أدرك الأمور علىٰ حقيقتها، وكانت له معرفة بتاريخ

....

سلفنا الصالح، ومعرفة بالدين، أدرك تمامًا بأن السمع والطاعة والبيعة والمحافظة على ذلك واجبة مطلقًا، سواءٌ كان الوالي عادلًا أو فاجرًا، مُؤْثِرًا كان أو منفقًا، محسنًا أو مسيئًا، ما لم يظهر منه الكفر البواح.

ومعنى **الكفر البواح**؛ أي: الكفر الذي يبوح به هو ويعلنه ويدعو إليه، وليس الكفر الخفي الذي لا يدرك، فمن ذلك مثلًا: لو دعا الحاكم إلى ترك الصلاة؛ فقد باح بكفره وأعلنه.

وكذلك لو أمر المجتمع بأن يتركوا صيام رمضان؛ لئلا يضعفوا عن الإنتاج؛ فقد أعلن بكفره، فهو كافر لا طاعة له ولا بيعة ولا سمع.

وكذلك لو أعلن أن الشريعة الإسلامية في الوقت الحاضر غير صالحة للعمل بها، ويقول بأنها كانت صالحة في العهد السابق، أما الآن فلا تصلح، ولابد من استيراد القوانين، إما من الخارج، أو بوضعها محليًّا.

ويقول هذه الشريعة جافة لا تصلح، ونريد قوانين مرنة توافق رغبات الناس، فهذا أعلن كفره، وكفره كفر بواح، فلا طاعة له ولا سمع له، ولا بيعة، وهذا هو معنى الكفر البواح؛ أي: الكفر الذي باح به وأعلنه ولم يخفه.

والحاكم ما لم يصل إلى هذه الدرجة تجب طاعته والسمع له في حدود طاعة الله.

ولو راجعنا تاريخنا نجد أن بعض صغار الصحابة الذين أدركوا بعض

....

الخلفاء والملوك الجائرين الظالمين كالحجاج[(١)] كانوا يصلون خلفهم؛ لأنه في العهد السابق الخلفاء هم الذين يؤمون الناس، ويجاهدون تحت رايتهم، ويطيعونهم في كل ما يأمرون به وينهون عنه، ما لم يأمروا بمعصية، فعلىٰ هذا مضىٰ السلف الصالح الذين أدركوا زمن الأهواء بعد أن فسدت أخلاق كثير من الأمراء والحكام.

وهذا هو الذي عليه الناس قديمًا، ولا يسع المسلمين اليوم إلا ما وسع الأولين كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«لا يصلُح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»**[(٣)]؛ أي: لا يصلح أمر المسلمين اليوم إلا ما

---

(١) الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي، ولي الحرمين مدة، ثم ولي العراق لعبد الملك ابن مروان، ولد سنة ٤٥ هـ وتوفي سنة ٩٥هـ كان ظلومًا جبارًا سفاكًا للدماء.

قال الذهبي: نَسبُّه ولا نحبُّه، بل نبغضه في الله، فإن ذلك أوثق عرىٰ الإيمان، وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلىٰ الله، وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء. اهـ. [انظر ترجمته في: «السير» (٤/ ٣٤٣)، و«تهذيب التهذيب» (١/ ٣٦٣)].

(٢) **مالك بن أنس**: هو الإمام الفقيه المحدث حجة الأمة شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، الحميري ثم الأصبحي المدني، أحد الأئمة الأربعة، صاحب الموطأ، ولد سنة ٩٣هـ وتوفي -عليه رحمة الله- سنة ١٧٩هـ بالمدينة.

[انظر ترجمته في: «السير» (٨/ ٤٨)، «ترتيب المدارك» (١/ ١٠٤)].

(٣) لم أقف عليه من قول مالك بن أنس، وإنما وقفت عليه من قول وهب بن كيسان.

أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ١٠) بإسناده عن مالك قال: كان وهب بن كيسان ←

=

أصلح أمر المسلمين الأولين، وإنما صلح أمرهم بالاجتماع وعدم التفرق، وبالسمع والطاعة وعدم الخروج.

والخروج لا يعني دائمًا الخروج بالسلاح، بل التمرد يعتبر خروجًا علىٰ السلطان، وكذلك التمرد علىٰ الأوامر يعتبر خروجًا علىٰ السلطان، وهذا ما يجهله كثير من المتنسبين إلىٰ العلم، فما بال الذين لا علم لديهم، وإذا جهلوا هذا الجهل فالعمل تابع؛ لأن العلم قبل القول والعمل.

فالعلم أولًا ثم العمل، ولا يتم العلم بمجرد الاطلاع علىٰ النصوص؛ لأن الناس تتصرف في النصوص كما شاءت، فيجب علينا أن نفهم النصوص بمفهوم السلف الصالح لها، وطالما نحاول أن نفهم نصوص الكتاب والسنة بمفهوم السلف الصالح فنحن علىٰ خير، فإذا أعرضنا عن منهجهم وعن فهمهم، وشققنا لنا طريقًا جديدًا لنسير إلىٰ الله مستقلين عن سلفنا الصالح، ضعنا ضياعًا لا يمكن أن يعالج إلا بالتوبة والرجوع إلىٰ ما كانوا عليه. =

←

يقعد إلينا ولا يقوم أبدًا حتىٰ يقول لنا: اعلموا أنه لا يصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله.

قلت: يريد ماذا؟

قال: يريد في بادئ الإسلام، أو قال: يريد التقوىٰ.

وهذا القول قد اشتهر عن الإمام مالك -رحم الله الجميع-، والله أعلم.

....

وهذا ما وصل إليه أمر جمهور المسلمين اليوم؛ إذ تُركت العقيدة السلفية التي كان عليها سلف هذه الأمة وتُركت أحكام الكتاب والسنة تركًا واضحًا، وأُعرض عنها، واستبدلت بأحكام وضعية، وجُهلت السياسة الشرعية تمامًا، واستبدلت بالسياسة العصرية التي كلها كذب ونفاق، وأعرض جمهور المسلمين وخصوصًا المثقفين منهم عن دين الله تعالىٰ الذي جاء به هذا الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

إذن؛ لابد من الاجتماع علىٰ الدين، ولا يتم الاجتماع إلا بالسمع والطاعة كما قد شرح.

[الأصل الرابع:
بيان العلم والعلماء]

الأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيْسَ مِنْهُم.

قَالَ المُصَنِّفُ: «الأَصْلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيْسَ مِنْهُم».

الشرح: العلم صفة محبوبة كما أن الجهل صفة مذمومة، فلو قلت لعامي جاهل: أنت جاهل لغضب ولن يرضىٰ؛ لأنه يريد أن يكون جهله مستورًا، وإن كان قد لا يوفق للعلم فيعالج جهله، لكنه لا يرضىٰ أبدًا، ولو قلت له: أنت عالم لفرح رغم أنه جاهل.

فالعلم يحبه كل إنسان، وعندما نتحدث عن العلم لا نعني به مطلق المعرفة، ومطلق الثقافة، ولكن نعني به العلم الذي أخرج الله به العباد من الظلمات إلىٰ النور، ومن الكفر إلىٰ الإيمان، وهو العلم الذي بعث به النبي محمدًا ﷺ.

وقد بيَّن رسول الله ﷺ أن مَثَلَ ما بعثه الله به من العلم والهدىٰ والنور =

....

كمثل غيث[1]، ومثَّل القلوب كالأرض عندما ينزل الغيث -المطر الغزير-، هل الأرض كلها بجميع طبقاتها في مستوىً واحد؟

الجواب: لا، بل لها ثلاث حالات:

* أرض طيبة خصبة تقبل الماء وتبلع هذا الماء، وتُبقي بعضه على ظهر الأرض فتنبت العشب الكثير والكلأ، فيستفيد الناس من الماء الذي على ظهر الأرض، ويستفيدون من العشب والكلأ، فيشربون ويسقون ويزرعون؛ فهذا كمثل القلب الطاهر الذي هو أفضل القلوب وأكمل القلوب، الذي رفع رأسه لِمَا جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام-.

فتعلَّم ووفَّقَه الله فقبل ذلك العلم وانتفع به في نفسه بأن عمل به، ثم نشر هذا العلم بين الناس ونفع الناس، «فهذا كالأرض الطيبة» قبِل العلم والهدىٰ والنور وانتفع ونفع بهذا العلم.

(١) وهذا كما جاء في حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (ح ٧٩)، ومسلم (ح ٢٢٨٢): عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ مَثَلَ ما بعثني الله به ﷻ من الهُدىٰ والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضًا فكانت منه طائفةٌ طيبةٌ قَبِلَتِ الماء فأنبتتِ الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الماء فنفع الله بها الناس فَشَرِبُوا منها وَسَقَوْا وَرَعَوْا وأصاب طائفةً منها أُخرَىٰ إنما هي قيعانٌ لا تُمسك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مثل من فَقُهَ في دين الله ونَفَعَهُ بما بعثني الله به فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلك رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَىٰ الله الذي أُرْسِلْتُ به»**.

* وأرض أخرىٰ صُلبة، ولكن فيها انخفاض فقبلت هذا الماء فحفظته علىٰ وجهها في الوديان والبرك والغدران، فانتفع الناس بهذا الماء وهي لم تنتفع به؛ لأن الماء لا يدخل في جوفها، ولكن نفعت الناس، فهي خيرٌ من التي بعدها.

فهذه هي الطبقة الثانية من بني آدم: أناسٌ قد يدرسون، ويحفظون القرآن، ويحفظون السنن، ويحفظون أسماء الرجال، ويحفظون ...، ولكن لم يرزقوا الفقه في الدين، و«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»(١)؛ لأن الفقه في الدين نور، وليس الفقه هو دراسة الآراء الكثيرة التي ملأت جوف تلك الكتب الضخمة، لا، وإنما الفقه في الدين هو الفهم الصحيح الثاقب المبني علىٰ الأدلة.

فقد يكون الإنسان قليل الاطلاع وربما لم يطلع إلا علىٰ المتون ولا يعرف من الشروح شيئًا ولم يخض خوضًا كبيرًا، لكن رزقه الله فهمًا صحيحًا ثاقبًا فيُفَقه في الدين، فهو حفظ المتون، وحفظ القواعد وقعدها، وحفَّظ طلاب العلم، فهم ينتفعون به، فهو كتلك الأرض التي حفظت الماء ولم تنتفع بالماء، ولكن الناس انتفعت بذلك الماء.

(١) أخرجه البخاري (ح ٧١)، ومسلم (ح ١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين...». الحديث.

....

* وهناك أرضٌ سبخة ورمل كلما ينزل عليها الماء يضيع في بطنها، ولا تمسك علىٰ ظهرها شيئًا ولا تنتفع به مهما كان المطر غزيرًا، أو تمسك في بطنها، ولكن يضيع الماء في تلك السبخة وفي تلك الرمال، وهذه هي صفة كثير من المنتسبين إلىٰ الإسلام.

لكن هل هو الإسلام الصحيح الكامل؟

الجواب: لا، فالإسلام الصحيح الكامل هو الذي هدىٰ الله به القلوب فأحبت الله، وأحبت رسول الله ﷺ الذي جاء بهذا الهدىٰ، وأحبت الدين، وأحبت أولياء الله، وأحبت شريعة الله وطبقتها، فالذين يحبون الإسلام عقيدة وشريعة ويطبقونها هم الذين لديهم هذا العلم، أما الثقافة العامة فما أكثرها، وأما الفقه الذي بمعنىٰ المعرفة في اللغة فهذا كثير أيضًا، ولكن العلم المفقود هو هذا الذي ذكرناه، وإذا عرفنا العلم عرفنا العلماء، فهم الذين يحملون هذا العلم النافع.

والعلماء الربانيون: هم الذين يربون صغار الطلبة علىٰ صغار العلم، ثم يتدرجون معهم حتىٰ يتفقهوا في دين الله، ولا يبدءون بالمطولات، بل يبدءون بالمختصرات حتىٰ يصلوا إلىٰ المطولات، فهؤلاء هم العلماء الربانيون المربون.

واحذر أن تفهم من كلمة «العبد الرباني» أو «العالم الرباني» فهمًا صوفيًّا ضالًّا؛ فالعبد الرباني عند المتصوفة الذي يصل إلىٰ درجة أنه يقول للشيء

كن فيكون، فهذا المفهوم مفهومٌ صوفِيٌّ ضال مضلل ملحد، فمن يعتقد أن معنىٰ العبد الرباني أو العالم الرباني الذي يصل إلىٰ هذه الدرجة، وهي درجة الربوبية فيقول للشيء كن فيكون فهذه دعوة إلىٰ الضلال وإلىٰ الشرك في الربوبية والألوهية معًا؛ سواء أدرك هذا الداعي أو لم يدرك.

فلنحذر نحن ولا نتحدث بأسلوب المتصوفة، ولكن نتحدث بأسلوب الفقهاء وأهل العلم، فهؤلاء هم العلماء الربانيون الذين تربىٰ طلاب العلم علىٰ أيديهم، ربوهم بصغار العلم إلىٰ أن تبحروا في العلوم، فهؤلاء هم العلماء.

وقد عرفنا فيما سبق معنىٰ الفقه؛ وهو الفهم الصحيح الثاقب لِمَا جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام-، ومن لديهم هذا الفقه هم العلماء، والعلماء والفقهاء قد يكون هذان اللفظان من الألفاظ المترادفة إلا أن العلماء أشمل والفقهاء أخص، والله أعلم.

قَالَ المُصَنِّفُ: «وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيْسَ مِنْهُم».

الشرح: كثُر الذين تشبهوا بالعلماء والفقهاء، بل في هذه الآونة غلب صغار طلبة العلم علىٰ العلماء، فصار لفظ العلماء والدعاة علَمًا بالغلبة علىٰ أولئك الذين يشاغبون فأخذوا هذا اللقب من العلماء واستنكروا للعلماء وزهَّدوا الناس في العلماء.

وَقَدْ بَيَّنَ الله تَعَالَىٰ هَذَا الأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠] إلىٰ قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧].

= أما العلماء الذين هم علىٰ ما وصفنا ربما تنكر لهم بعضهم فأنكروا علمهم وحاولوا أن يحولوا إلىٰ أنفسهم صفة العلم وصفة الفقه وحمل الدعوة، والله المستعان.

والتشبه بهم نوعان:

* التشبه بأهل العلم في أخلاقهم، وفي علمهم، وفي دعوتهم، وفي سلوكهم محاولين أن يكونوا مثلهم فهذا نافع، كما قيل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم　　　إن التشبه بالرجال فلاح

وهذا إذا كان بمعنىٰ التأسي بهم.

* وأما إذا كان التشبه بهم لمجرد المحاكاة بالاسم وبالألفاظ والدعايات فهذا هو الذي لا يجدي.

قَالَ المُصَنِّفُ: «وَقَدْ بَيَّنَ الله تَعَالَىٰ هَذَا الأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي وَصْفِ بَنِي إسرَائِيل».

الشرح: الله ﷻ عاتب بني إسرائيل ووبخهم ووصفهم بصفات، والمتعلمين أو المنتسبين إلىٰ العلم من هذه الأمة إما أن يكونوا علماء وفقهاء بالوصف الذي تقدم، وإما أن يكونوا متشبهين باليهود أو متشبهين بالنصارىٰ. =

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الأَشْيَاءِ، وَصَارَ العِلْمُ وَالفِقْهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُم لَبْسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّه بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهيِ عَنْهُ هُوَ الفَقِيهَ العَالِمَ.

=

فمن كان يعبد الله علىٰ جهل كجهلة الصوفية ففيهم شبه بالنصارىٰ؛ لأن النصارىٰ ضلوا، فهم ليسوا أهل علم، وعبَّاد هذه الأمة في الغالب الكثير الذين تربوا في أحضان المتصوفة فيهم صفات النصارىٰ، مثل العبادة علىٰ جهل، أو العبادة بالتقليد ومحاربة أهل العلم، وَأَكْرَهُ الناس عند المتصوفة طلبة العلم؛ لأن طلبة العلم يبينون للناس الهدىٰ، والمتصوفة يريدون أن يستغلوا جهل العوام وجهل أتباعهم فيُسخرونهم في مصالحهم، فهم يبتعدون عن العلماء ويعيشون في جهل، ويعبدون الله علىٰ جهل، وعبادتهم عبادة شكلية صورية وليست بعبادة حقيقية.

ومن أهل العلم من تشبهوا باليهود الذين علموا ولم يعملوا فضلوا، وهذه هي صفة بني إسرائيل لذلك الله عاتبهم كثيرًا فقال لهم: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢].

وقال أيضًا: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة:٤٤].

وهذا ما يقع فيه كثيرٌ من المنتسبين إلىٰ العلم متبعين في ذلك الهوىٰ الذي يوقع الإنسان ويورط الإنسان في صفة اليهود وهي التلبيس.

=

....

والتلبيس يستلزم الكتمان، فإذا لبس علىٰ إنسان في أمر دينه، وذكر له خلاف الواقع، وأظهر له الباطل بصورة الحق، والحق بصورة الباطل، فهو قد كتم الحق عليه، وهذا هو الذي وقع فيه بنو إسرائيل، وهو الذي يقع فيه كثيرٌ من المنتسبين إلىٰ العلم، مُؤثِرِين المناصب والشهرة والسيطرة علىٰ العوام، ويعرضون عن العلم مع علمهم لا عن جهل منهم.

فمثلًا: الذي يُسأل عن النذر لغير الله تعالىٰ فيقول: ليس فيه شيء، وهو من محبة الصالحين! ويسأل عن الطواف بالأضرحة فيقول: هذا من محبة الصالحين، ومن التوسل بهم، وليس بشرك! ويسأل عن الحلف بغير الله فيقول: ليس بشرك ولا نرىٰ ذلك شركًا، فيناقشه السائل ويذكر له الأدلة فيردها بقوله: لا، نحن لا نرىٰ ذلك!

وإذا قال له السائل: يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: **«من حلف بغير الله فقد أشرك»**، و: **«من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»**.

فيقول الدكتور[1]: نحن لا نرىٰ ذلك!! هكذا بـ(نون العظمة).

ومن أنتم؟!!

والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: **«شرك»**، ويقول: **«لا تحلفوا بغير الله»**.

---

(١) سبق أن ذكر الشيخ في شرح الأصل الثاني قصة هذا الدكتور، فلتراجع (ص٥٢).

فمثل هذا العالم فيه شبه من اليهود.

ويقول: إنما يقول بالشرك بعض المتشددين، انظروا إلىٰ هذا التلبيس علىٰ هذا السائل، يزعم أن من يقول بأن الحلف بغير الله شركٌ هو من المتشددين، وأما المعتدلون الطيبون لا يرون ذلك من الشرك، ويمشون مع الناس ولا يتشددون علىٰ الناس، ولا ينفرون الناس!!

وهذه هي أكثر صفات المتنسبين إلىٰ العلم للأسف الشديد، ولكن إخبارًا بالواقع فهذا الصنف قليل أو يكاد يكون معدومًا إن شاء الله في علماء هذا البلد، وكما نعلم جميعًا بأن علماء هذا البلد كما هم معروفون، سواء القضاة أو المفتين أو المدرسين، إن شاء الله كلهم يصدرون من قول الله تعالىٰ، ومن قول رسوله ﷺ.

[الأصل الخامس:
بيان الله سبحانه لأوليائه وتفريقه بينهم]

الأَصْلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ لأَوْلِيَاءِ اللهِ، وَتَفْرِيقُهُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِم مِن أَعْدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكْفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَهِي قَولُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] **الآيَة.**

قَالَ المُصَنِّفُ: «الأَصْلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ لأَوْلِيَاءِ اللهِ».

الشرح: والعجب كل العجب كونه يلتبس علىٰ كثير من الناس أمر الأولياء، والله ﷻ لم يترك أمر بيان الأولياء للأنبياء والصالحين والعلماء، بل تولىٰ اللهُ ﷻ بيان الأولياء بنفسه، ومع ذلك كثر الخبط والخلط عند جمهور المنتسبين إلىٰ الإسلام الذين تربوا في أحضان المتصوفة الذين تمكنوا من المسلمين بعد انقراض القرون المفضلة، فصار المسلمون لا يعرفون العالم التقي إلا إذا كان صوفيًّا، فبسبب هؤلاء التبس الأمر علىٰ كثير من الناس في أمر الأولياء، والإنسان بالنسبة لله تعالىٰ إما وليٌّ وإما عدو.

فالوليُّ من الولاية وهي المحبة، أيُّ عبدٍ يحب الله، ويحب دينه، ويعظم الله، ويعظم أمره، ويخضع له، ويخضع لشرعه، ويتذلل له، فهذا هو الولي

....

بصرف النظر من أيٍّ بيت هو؛ لأنه لا توجد في الإسلام بيوت يتوارثون منها الولاية.

مثلًا: بيت ابن علوان بيت الولاية، أو بيت الغضنفر بيت الولاية؛ هذا غير موجود في الإسلام، فقد يولد الإنسان من أبوين كافرين فيصبح وليًّا لله تعالىٰ؛ لأن الولاية أمر مكتسب.

وأما النبوة بالاصطفاء، فاللهُ ﷻ هو الذي يصطفي من شاء من عباده ويختارهم ويربيهم تربية خاصة، فيوحي إليهم.

ولكن الولاية بالاكتساب، فتكتسب الولاية بصرف النظر عن أبويك وعن أصلك وفرعك، فقد يعيش الإنسان في أول حياته عدوًّا لله فيتحول إلىٰ وليٍّ لله تعالىٰ؛ لأن الولاية أمر مكتسب، وَبِمَ تُكتسب الولاية؟

الجواب: تكتسب بالإيمان الصادق الصحيح وبالعمل الصالح.

وقد بيَّن الرب ﷻ في الحديث القدسي كيف نكتسب الولاية فقال: **«ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه»**(1)، وليست الفرائض الصلوات الخمس فقط، الفرائض فرائض عملية وفرائض تركية، بمعنىٰ: أن كل ما أوجبه الله تعالىٰ تفعله، وكل ما حرم الله تعالىٰ تبتعد عنه.

فهذا هو معنىٰ أداء الفرائض: أن تعمل بجميع الواجبات، وتبتعد عن جميع المحرمات، وهذه هي الخطوة الأولىٰ لتكتسب الولاية.

(١) رواه البخاري في الصحيح (ح ٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وبعد هذا تكثر من النوافل -أي: التطوع- وهو الشيء الذي ليس بواجب، مثل: نوافل الصلاة، ونوافل الصيام، ونوافل الإنفاق، ونوافل الحج، أي تكثر من جميع أنواع نوافل العبادات، فإذا أكثرت من هذه النوافل؛ أحبك الله وصرت وليًّا لله، ومن هنا يوفقك فيكون بصرك الذي تبصر به، وسمعك الذي تسمع به، ويدك التي تبطش بها، ورجلك التي تمشي بها، وإن سألت أعطاك، وإن استعذت أعاذك، ووصلت إلىٰ درجة المقربين، وهذا أمرٌ ميسورٌ جدًّا علىٰ من يسَّره الله عليه، ولكن ما أصعبه بعدم التوفيق.

فالعبد يعيش بين هدايتين:

* فالهداية العامة -هداية إرشاد وبيان-، والله هدىٰ الناس بهذه الهداية العامة، والرسول ﷺ أيضًا هدىٰ الناس، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورىٰ:٥٢]. وهي هداية إرشاد بيان وتعليم وإيضاح، وكذلك القرآن ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

* وهناك هداية أخرىٰ بها يصير العبد وليًّا لله تعالىٰ، وتطلبُ هذه الهداية من الله ﷻ ؛ وهي هداية التوفيق، وهي المنفية عن النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وهذه الهداية بيد الله ﷻ وحده.

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤] الآيَة، وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

= وكيف نصل إليها؟

الجواب: إن الله مع المنكسرة قلوبهم، الذين لا يترفعون ويذكرون ذنوبهم ويبكون، ويقومون في الليل ويتضرعون إلىٰ الله، فيطلبون من الله أن يهدي قلوبهم، من هنا ومن هذا الباب نصل إلىٰ درجة الولاية؛ إذ الولاية أمر مكتسب.

وما صفة الأولياء؟

يقول الله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

فمن آمن الإيمان الصحيح الصادق، إيمان القلب، وإيمان اللسان، وإيمان الجوارح، وكان له قلبٌ خاشعٌ خاضعٌ متذللٌ لله ﷻ، يبعثه علىٰ العمل والخشوع والخضوع فهؤلاء هم الأولياء، فإذا رأيت من نفسك النشاط والاندفاع في العبادة والرغبة فيما عند الله، وعدم الكسل، وعدم الركون إلىٰ الراحة، والطمع فيما عند الله، لو رأيت من نفسك الحرص علىٰ هذا، فهذا هو معنىٰ هداية القلب. =

....

فهداية القلب تبعث علىٰ عمل الجوارح، وأما قول العوام وأشباه العوام إذا أمرته أو نهيته، فتقول له مثلًا: يا أخي صلِّ، أو يا أخي احرص علىٰ صلاة الجماعة، أو يا أخي اترك كذا ...

يقول لك: دعنا فالإيمان هاهنا، الإيمان في القلب، هذا إرجاءٌ(١) للأسف الشديد، إرجاءٌ يقع فيه العوام ولا أدري متىٰ درسوا الإرجاء؟

فهذه هي عقيدة المرجئة الذين يرون أن الإيمان مجرد التصديق، وهذا خطأ؛ إذ لو صح هذا الإيمان لأنتج، فما نتيجة هذا الإيمان؟

لذلك عطف الله العمل الصالح علىٰ الإيمان في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥]؛ لأن العمل الصالح دليل علىٰ صحة إيمان القلب؛ لأن إيمان القلب عمل قلبي لا يُعرف، وَبِمَ نعرف إنه مصدِّق تصديقًا صادقًا وخاشع وخائف من الله ومعظِّم له؟

الجواب: نعرف ذلك بالأعمال الظاهرة، وهؤلاء هم الأولياء، فالأولياء يُعْرَفُون بمحبة الله ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

=

(١) **الإرجاء:** هو التأخير، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف:١١١]، وسمُّوا بذلك لأنهم أخَّروا العمل عن مسمىٰ الإيمان، وقيل: بل سموا بذلك لإعطائهم الرجاء؛ حيث قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة. انظر: «مقالات الإسلاميين» (ص١٣٢)، و«الملل النحل» (ص١/ ١٦١)، و«الفرق بين الفرق» (ص١٩٠).

ومن محبة الله اتِّبَاع رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وهل اتِّبَاع الرسول ﷺ يكون بلا علم؟

الجواب: لا؛ لأن العلم قبل القول والعمل، فتَعَلَّم هدي رسول الله -عليه الصلاة والسلام- واعمل بهديه، فذلك دليلٌ علىٰ أنك تُحِبُّ الله؛ لأنك ما تعلمت هدي النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأحببت رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، واتبعت هديه إلا لأنك آمنت بالله ﷻ، وعظمت الله ﷻ، وأحببت الله ﷻ.

فهما أمران لا يفترقان أبدًا، الإيمان بالله والإيمان برسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ومحبة الله ومحبة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، أمران متلازمان كما أن الشهادتين متلازمتان، هل لو شهد الإنسان (أشهد أن لا إله إلا الله) وسكت تكفي؟

الجواب: لا، لا تقبل ولا قيمة لها، قال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤]، فالله رفع ذكر محمد ﷺ، فالشهادة بالوحدانية لا تقبل حتىٰ تشهد بالرسالة وتُجَرد له المتابعة، وصلاتنا وأذانُنا وإقامتنا لا تقبل إلا بالصلاة عليه -عليه الصلاة والسلام-، وحتىٰ يضم اسم رسول الله إلىٰ اسم الله -عليه الصلاة والسلام-.

فتدبر في هذه الآية، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾؛ أي ما دمتم ادَّعيتم أنكم تحبون الله ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: فإذا اتبعتموني يحببكم الله ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

وإذا كان الأمر كما قلنا أنه لا يمكن اتِّباع النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا علىٰ ضوء العلم، لذلك فإننا ننصح كثيرًا من العُبَّاد الذين يلازمون الصفوف الأول مسندين ظهورهم إلىٰ المصاحف ليل نهار ويعبدون الله علىٰ جهل، تجدهم يتخبطون ولا يعرفون شيئًا من صفة صلاة النبي ﷺ، نقول لهم: العبادة علىٰ جهل لا تُجدِي، فطلب العلم عبادة، والعلم النافع عبادة، وتعلمك لتحقيق التوحيد، وتجريد المتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام عبادة، وتعلمك لصفة صلاة النبي -عليه الصلاة والسلام- عبادة، وتعلمك لحجة النبي -عليه الصلاة والسلام- عبادة.

فهذه هي العبادة نفسها، وهي العبادة النافعة، وليست العبادة اتِّباع الناس إن شرَّقوا شرَّقت معهم، وإن غرَّبوا غرَّبت، ولو قيل لك: لِمَاذا؟ تقول: الناس يفعلون هذا وأنا مع الناس!

أضرب لكم مثلًا آخر لتتأكدوا، ولتحمدوا الله علىٰ ما أنتم عليه:

هل حضرتم في الحج ورأيتم جبل الرحمة؟ ما رأيتم تلك الأمسية العظيمة التي يدنو رب العالمين من حجاج بيته بعرفة كما يليق به، فالله ﷻ شأنه عظيم، لا يدنو من أهل مكة أو الذين بمزدلفة أو الضواحي هناك من أهل عرفة في موقفهم، يدنو منهم ويباهي بهم ملائكته، هذه الأمسية العظيمة التي

=

كان الإنسان ينبغي أن يمضيها في البكاء والتضرُّع علىٰ ذنبه، تجد أُمة من الناس طالعة في الجبل وأخرىٰ نازلة، ولو أوقفت حاجًّا تنصحه: يا حاج لا تضيع أمسيتك تعالَ قِفْ هُنا وادْعُ الله، سيقول لك: اذهب عني، ألا ترىٰ الناس؟

هذا ما عليه جمهور المسلمين في عباداتهم، عبادة تقليدية لا دليل إلا أن الناس فعلوها، هذا هو الإمعة الذي إذا صلح الناس صلح معهم، إن فسدوا فسد معهم، ما له مبدأ فلا تكونوا إمعة، والله المستعان.

فإذا أردت أن تكون وليًّا لله تعالىٰ ابتعد عن هذه الصفات، تعلَّم ما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام-، وهل النبيﷺ تعب ذلك التعب إلا لأجلنا نحن، ليعلمنا، ليدعونا إلىٰ الله، تعب ووصل ونشر العلم وقال لنا: «**تركتكم علىٰ بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»[(١)].

أفنترك هذه البيضاء إلىٰ بنيات الطريق؟ إلىٰ الأزقة هُنا وهناك؟

إذن فلنتعلم ما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام- تلك هي العبادة، ولنترك العبادة علىٰ جهل وعلىٰ التقليد.

---

(١) **حديث صحيح**: رواه ابن ماجه (ح ٤٣)، والحاكم (١/ ٩٦) والإمام أحمد في المسند (٤/ ١٢٦)، عن العرباض بن سارية ﷺ. انظر: السلسلة الصحيحة (٩٣٧).

....

قَالَ المُصَنِّفُ: «وَتَفرِيقُهُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِم مِن أَعْدَاءِ الله المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ».

الشرح: وقد سبق معنا مَن هو الولي؟ وقلنا: إن الولي ضد العدو، والإنسان بالنسبة لرب العالمين إما وليٌّ وإما عدو، وأن الأولياء يتفاوتون في درجاتهم وفي قربهم من الله، وفي محبتهم لله، وفي تعظيمهم لشرع الله، كما أن أعداء الله يتفاوتون في العداوة، فالأولياء ليسوا علىٰ درجة واحدة، والمهم أن نفهم معنىٰ الولاية، وأنها -كما تقدم- أمر مُكتسب يكتسبه العبد بإيمانه وعمله الصالح وبتوفيق الله تعالىٰ.

والأولياء في مقدمهم الأنبياء، فأنبياء الله جميعًا أولياء لله، وليس كما يزعم بعض جهلة الصوفية أن الولاية شيء آخر غير الأنبياء والرسل، فهذا خطأ في التصور، بل هم في طليعة أولياء الله تعالىٰ، ومن الأنبياء الرسل، ومن الرسل أولو العزم[1]، ثم سيدهم علىٰ الإطلاق، سيد الأولياء، وسيد ولد آدم محمدٌ رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فهو سيد الأولياء، وأولهم وأفضلهم علىٰ الإطلاق.

لذا علىٰ المسلمين جميعًا أن يعرفوا معنىٰ الوَلاية، وأن أنبياء الله كلهم من أولياء الله تعالىٰ، وفي مقدمة الأولياء الأنبياء، ثم أتباعهم من أصحابهم، =

(١) وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ، وقد ورد ذكرهم في القرآن مجموعين في موضعين في سورتي الأحزاب والشورىٰ.

ثم الأمثل فالأمثل، من العلماء الربانيين الفاهمين لدين الله تعالىٰ والفقهاء، هؤلاء هم الأولياء، فالولاية أمر مُكتسب لا يخضع للوراثة وليس بالاصطفاء.

فالنبوة أساسًا بالاصطفاء، والولاية التي دون النبوة بالاكتساب، فالنبي الذي اصطفاه الله واختاره للرسالة نبيٌّ وولي، إذن بين النبوة وبين الولاية عموم وخصوص فكل نبي ولي، وليس كلُّ ولي نبيًّا، هذا يجب أن يفهمه طلاب العلم، فالولاية أعم؛ أي باعتبار ذواتهم والعاملين بباب الولاية، النبي نبي وولي، وليس كل ولي نبي، بل قد يكون وليًّا -وهو الكثير- وليس بنبي؛ أي: بالاكتساب بالطريقة التي شرحناها.

فيبدأ باكتساب الولاية بأداء الفرائض؛ إذ لا يتقرب عبدٌ من عباد الله إلىٰ الله بأمرٍ أحب إلىٰ الله من أداء الفرائض كما في الحديث القدسي، والمراد بأداء الفرائض: أداء ما أوجب الله علىٰ العبد من واجبات؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والعمرة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وطلب العلم الواجب، وبر الوالدين، وصلة الرحم إلىٰ غير ذلك، ثم بعد ذلك يُكثر من النوافل، والطاعات، والأمور غير الواجبة: من تطوع الحج، والصيام، والصلاة، والإنفاق، والتوسع في العلم، وغير ذلك من الصفات التي ينبغي أن يتحلىٰ بها كل مسلم؛ فإذا فعل ذلك أحبه الله؛ لأنه تقرب إليه بالفرائض والنوافل معًا، فإذا أحبه يقول الرب ﷻ في الحديث القدسي: «**فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به،**

....

ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها؛ ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[١].

يقول الحافظ ابن رجب[٢]: «وهذا الحديث من أشرف الأحاديث في باب الولاية وأعظمها، وبيان حقيقة الولي»[٣]، ومعنىٰ أنه يكون سمعه وبصره ويده ورجله بأن الله يوفقه توفيقًا تامًّا بحيث لا يكاد يسمع بأذنيه إلا ما يرضي الله، ولا يكاد ينظر إلىٰ شيءٍ إلا في مرضاة الله، لا يبطش ولا يضرب ولا يمد يده إلا في مرضاة الله تعالىٰ، كالجهاد في سبيل الله تعالىٰ والقتال، ولا يمشي بقدميه إلا في مرضاة الرب ﷻ، يوفقه الله في ذلك، يكاد أن يكون في حكم المعصوم وإن لم يكن معصومًا بتوفيق الله تعالىٰ.

هكذا يكون الولي، والناس في هذا الباب كما تعلمون يتفاوتون، الأنبياء خيرُ من يمثل هذا المعنىٰ، ثم أصحابهم وأتباعهم، ثم الأمثل فالأمثل، إذن

---

(١) سبق تخريجه (ص٧١).

(٢) ابن رجب: هو الإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي، الشهير بابن رجب الحنبلي، ولد سنة ٧٣٦هـ وتوفي سنة ٧٩٥ هـ ومن أشهر مؤلفاته: «شرح البخاري المسمىٰ بفتح الباري»، و«شرح علل الترمذي»، و«جامع العلوم والحكم». انظر: «إنباء الغمر» (٣/ ١٧٥).

(٣) قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» تحت شرح هذا الحديث (ص٦٧٤): «وقد قيل إنه أشرف حديث روي في ذكر الأولياء». وانظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ١٢٩) فقد قال ابن تيمية نفس العبارة عن هذا الحديث.

الأولياء يتفاوتون، وصفاتهم المعروفة التي وصفهم الله بها في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١].

فأعظم صفة من صفات أولياء الله تعالىٰ-الأولياء بالحقيقة لا بالدعوىٰ- اتِّباع رسول الله ﷺ اتِّباعًا صادقًا، وهل يمكن أن يتبع الإنسان رسول الله -عليه الصلاة والسلام- اتِّباعًا كاملًا إلا بمعرفة ما جاء به؟

إذ كيف تتبعه قبل أن تعرف ما جاء به؟

هذا لا يمكن عقلًا ولا منطقًا؛ لأنك إنما تتبع النبي ﷺ بأقواله وأفعاله وتقريراته فسُنَّة النبي -عليه الصلاة والسلام- تنحصر في هذه الأمور الثلاثة: أفعاله، وأقواله، وتقريراته إن لم تعلم ذلك كيف تتبعه؟!

إذن؛ يلزم من هذا: أن تَعَلُّم ما جاء به النبي ﷺ فرض عين علىٰ كل مسلم ومسلمة يتفاوت ذلك باعتبار المعلوم.

ولذلك كان أشرف العلوم علىٰ الإطلاق علم العقيدة؛ لأن معلوم هذا العلم هو الله بأسمائه وصفاته، فالعلم بالله هو موضوع علم العقيدة، وهو المعلوم الذي نبحث عنه، وعلوم القرآن داخلة في ذلك، وعلوم الحديث أيضًا لأن معرفة الله لا تتم إلا في ضوء الآيات القرآنية والسنة الصحيحة النبوية، هذه هي العقيدة عندنا وليست هي آراء الرجال.

فتَعَلُّمُ هذا العلم لتتبعَ رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فرضُ عينٍ بالنسبة للعلوم الضرورية التي لابد منها، وفرض كفاية بالنسبة للتوسع في

....

ذلك، بحيث تكون مؤهلًا لرد شبه المغرضين حول ما جاء به النبيﷺ، فإذا قام بهذا القدر عددٌ من علماء المسلمين يسقط الإثم عن الآخرين وإلا يأثم الجميع، فإذا اتبعت رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أحبك الله، وماذا تريد بعد محبة الله؟

كُلنا يسعىٰ إلىٰ أن يصل إلىٰ هذه الدرجة بأن الله يرضىٰ عنه فيحبه، فإذا رضي الله عنك وأحبك وأكرمك في دار الكرامة مكَّنك من رؤية وجهه ﷻ، وهي أعظم نعمة من نعم أهل الجنة، النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ، هذا بالنسبة لمن يؤمنون بوجهه ويثبتون وجه الله صفة ذاتية لله ﷻ.

ثم ساق المؤلف آية أخرىٰ في صفات المؤمنين، وصفات أولياء الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤]؛ أي: إن الذي يرتد عن دينه إنما يضر نفسه، الله ﷻ غنيٌّ عن عباده، لا تضره معصيتهم وكفرهم، ولا ينفعه إيمانهم وطاعتهم، ولكن الله ﷻ تَفَضُّلًا منه إن ارتد من ارتد فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه.

إذن؛ الله ﷻ يُحِبُّ ويُحَبُّ.

وبعض كتب الأشاعرة تنص علىٰ نفي هذا، يقولون: «الله لا يوصف بأنه يُحِبُّ أو يُحَبُّ».

ويتفلسفون فيقولون: ما العلاقة بين العبد وبين الخالق حتىٰ تكون بينهم محبة؟! لا علاقة بينهما.

سبحان الله!!

إن لم تكن بيننا وبين ربنا علاقة لضِعنا، العلاقة علاقة العبودية، فنحن عبيده وهو ربنا ومولانا، هذه هي العلاقة، نحب ربنا وخالقنا وولي نعمتنا الذي وفقنا وهدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

اللهُ يحبُّ عباده الصالحين المؤمنين وأولياؤه يحبونه، ومحبة الله تعالىٰ روح الإيمان، والأشاعرة نفوا روح الإيمان من حيث لا يشعرون، لا إيمان إلا بالمحبة قطعًا، لا إيمان بالله إلا بمحبة الله.

إذن؛ لو قيل لك عرِّف لنا الولي؟

التعريف: هو الذي تتبين به الأشياء، يسمىٰ حدًّا وتعريفًا، والله ﷻ رحمة منه وتفضلًا منه وإحسانًا تولىٰ بنفسه تعريف الأولياء لئلا تختلف الناس مَن هو الولي؟

يقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ ﴾ هذا للتنبيه والإثارة؛ أي: لإثارة الهمم ﴿إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سبحانه من لطفه قدم عدم الخوف والحزن قبل أن يعرفهم تشويقًا للعباد، تشويقًا لقلوب عباده إليه سبحانه ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

بعد هذا التشويق يقول الرب سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٣]، هذا هو تعريف الأولياء، الولي المؤمن التقي، لن تجد

....

=

تعريفًا أبلغ وأشمل من هذا لتعريف وليٍّ من أولياء الله تعالىٰ بدأً من الأنبياء إلىٰ آخر درجات الأولياء، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وكم يدخل تحت هذه الجملة من المعاني؟

الذين آمنوا بالله، وآمنوا برسله، وآمنوا بكتبه، وآمنوا بالملائكة، وآمنوا باليوم الآخر، وآمنوا بالقضاء والقدر، وآمنوا بكل ما يجب الإيمان به، الذين آمنوا الإيمان الكامل التام لا الدعوىٰ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾، والتقوىٰ هُنا في هذا المكان تُفَسَّر بأعمال الجوارح، فهي في قوة قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

وإن كان في الأصل كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «التقوىٰ هاهُنا»[1].

صحيحٌ التقوىٰ هاهُنا، والإيمان هاهُنا، لكن الذي في القلب من التقوىٰ والإيمان بحاجة إلىٰ الدليل، ما الدليل علىٰ أن في قلبك إيمانًا، وفي قلبك تقوىٰ وخوفًا وتعظيمًا لله، ما الدليل علىٰ ذلك؟ =

(١) رواه مسلم (٢٥٤٦) من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوىٰ هاهنا -ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات-، بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه».

ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ إِلَىٰ أَنَّ الأَوْلِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِن تَرْكِ اتبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُم.

=

لابد من الاستدلال علىٰ ذلك؛ لأن هذا عمل قلبي، والذي يدل علىٰ ذلك قول اللسان وعمل الجوارح:

قول اللسان: الإكثار من ذكر الله تعالىٰ، مَن أحب شيئًا أكثر من ذكره، إذا أكثرت من ذكر الله في كل لحظة، وأنت ماشي، وأنت جالس بين الناس، وحدك حيث لا يسمعك إلا إياه، تكثر من ذكره، من تلاوة كتابه بتدبر وتعقل، وتكثر من الصلاة علىٰ النبي -عليه الصلاة والسلام-، وتكثر من الدعاء والتضرع إلىٰ الله في كل لحظة، هذه الأعمال تدل علىٰ صدق ذلك الإيمان المُدعىٰ، وهي دليلٌ علىٰ المحبة والتعظيم.

ثم أعمال الجوارح: فنشاطك في عبادة الله تعالىٰ، وفي الصلاة بأدائها في الجماعة، وفي الصيام واجبًا وتطوعًا، وفي الإنفاق؛ هذه الأعمال تدل علىٰ صدق إيمانك وأنك ترجو ما عنده ﷻ ولذلك تعمل، وهؤلاء هم الأولياء.

يقول المصنف: «**ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ**» وصل بهم الأمر «**إِلَىٰ أَنَّ الأَوْلِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِن تَرْكِ اتبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُم**» فهؤلاء عكسوا القضية تمامًا. =

وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادِ، فَمَن جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُم، وَلَابُدَّ مِن تَرْكِ الإِيْمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، فَمَن تَعَهَّدَ بِالإِيْمَانِ وَالتَّقْوَىٰ فَلَيْسَ مِنْهُم، يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وما يقوله المؤلف لا تحسبوا أنه من أساطير الأولين، أو قصة خيالية، لا بل هي أمور واقعة، فالأولياء عند المتصوفة هم: أصحاب الأحوال والكشوفات؛ خاصة أصحاب الشعوذة، الولي عندهم ما يكون وليًّا صادقًا واصلًا إلىٰ الله بزعمهم حتىٰ يخالف الشريعة ليعمل بالحقيقة!

والذين ليس لهم معرفة في هذا الباب يحسبون هذا الكلام فيه نوع من المبالغة، وهذا واقعهم لأنهم قسَّموا الدين إلىٰ قسمين: شريعةٌ وحقيقةٌ.

* الشريعة للعلماء والفقهاء الجامدين.

* والحقيقة للعارفين بالله والواصلين إلىٰ الله؛ الذين استغنوا عن الشريعة، وينظرون إلىٰ اللوح المحفوظ فيأخذون التعليمات من اللوح المحفوظ رأسًا.

زهَّدوا في الشريعة، فيما جاء به النبي -عليه الصلاة والسلام-، قالوا هذه مرحلة؛ لأن السير إلىٰ الله علىٰ مراحل:

المرحلة الأولىٰ: العمل بالشريعة.

ثم بعد ذلك: الانتقال إلىٰ الحقيقة، الحقيقة التي لا يعلمها إلا الخواص، فهم عندهم -**الخاصة وخاصة الخاصة**- هذا حقائق مكتوبة في كتبهم. =

في وقت متأخر ادَّعىٰ مهندسٌ أنه يقسم الرسالة إلىٰ قسمين:

فالرسالة الأولىٰ: هي التي عمل بها الصحابة، ولكن الرسالة الثانية حفظها رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وكتمها للمهندس محمود محمد طه[1]، هذا المهندس هو الذي يتولىٰ تبليغ الرسالة الثانية، هل سمعتم عجبًا؟!

وهذا المهندس يقول: الرسالة الأولىٰ مضمونها صلاة ذات ركوع وسجود، والزكاة ذات المقادير عشرين مثقال، ومائتي درهم، في خمس من الإبل كذا، في أربعين من البقر كذا، وهذه كلها ذهبت مع الرسالة الأولىٰ التي عمل بها الصحابة، وجاء وقتٌ يجب العمل بالرسالة الثانية التي كتمها النبي -عليه الصلاة والسلام- وأظهرها محمود محمد طه في أم درمان.

من مضمون الرسالة الثانية -سمعته بأذني هاتين يقول لاتباعه-: قوموا صلوا فنحن قد وصلنا، قمنا الليالي، وصمنا النهار؛ فوصلنا إلىٰ درجة سقطت عنا مضمون الرسالة الأولىٰ، الصلاة ذات ركوع وسجود، لكن أتباعه يصلون، انتبهوا يحسد أتباعه لا يخلِّيهم يتخرجون مثله، يجب أن يكونوا دائمًا يصلون، =

(١) محمود محمد طه، سوداني الجنسية، قتل صبرًا، له عدة طوام منها ما ذكره الشيخ هنا، وكان الشيخ قد زار السودان سنة ١٣٨٣هـ فالتقاه هناك وسمع بعض كلامه، فردَّ عليه الشيخ وناقشه أمام الناس، فطلبوا منهم المناظرة فاعتذر المهندس ولم يقبل، فكان أن ألقىٰ الشيخ بدل المناظرة محاضرة رد فيها عليه، وهي مطبوعة بعنوان: «المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية».

....

يكونوا تبعًا له، هو الوحيد الذي وصل إلىٰ هذه الدرجة، فلما أراد الله سلَّط عليه من شاء من عباده فقضي عليه فقتل ردةً، ويستحق ذلك لأنه ارتدَّ.

وفي الدين الإسلامي كُل من ادَّعىٰ الاستغناء عن رسالة محمدﷺ فهو مرتد، هكذا ذلك المرتد، فقُتل ردة، وكتبه موجودة لدينا، وأتباعه لا يزالون علىٰ قلة موجودين علىٰ ظهر الدنيا، فهذه درجة الواصلين إلىٰ الله في زعمهم، وفي الحقيقة هي درجة المارقين عن دين الإسلام؛ لأن من وصل إلىٰ هذه الدرجة مَرَق، لذلك لا تستغرب عندما يقول المصنف هُنا: «**ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ**» علم الحقيقة لا علم الشريعة «**وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ**»، وأنه من الخاصة وخاصة الخاصة، «**وَحُفَّاظ الشَّرْعِ**»، حفظوا الشريعة فتجاوزوها «**إِلَىٰ أَنَّ الأَوْلِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِن تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُم**» ليس من الأولياء؛ بل من الفقهاء الجامدين الذين يجمدون دائمًا عند الشريعة وعند اتباع الرسل، هذا ما وصل إليه أمر غلاة المتصوفة القائلون بسقوط التكاليف الشرعية.

وهل تظنون أنه لا يوجد من يصدق هذه الثرثرة ويتبع هذا الكفر، بل اتبعه كثير وكثيرٌ جدًّا، وأكثر من اتبعه من الجنس الثاني -من النساء-، فهم أكثر أتباعه عندما كان نشيطًا، وهن اللاتي يبعن رسائله في الأسواق علنًا، قرأنا رسالة في أيديهن فإذا الرسالة تتحدث أنه يجوز للمرأة أن تطلق زوجها =

كما يطلقها هو، فهم سواسية إخوان في الطلاق وفي كل شيء، وهذا الصنف من الناس معدودين من المسلمين، كم عدد المسلمين اليوم؟! كم؟! مليون.

فعدوا فيهم هذا الصنف؛ لأنهم كلهم بأسماء المسلمين، والله المستعان!

علىٰ كُلٍّ المصنف يريد أن يقول: إن هذه الأصول ومعرفة العلم والعلماء ومعرفة الفقه والفقهاء ومعرفة الأولياء شيء بيَّنه الله في كتابه، ومع ذلك كثُر من يجهله، ولو كان هذا ممَّا كتبه كاتب أو اجتهد فيه عالم، واختلفت فيه الناس فلا غرابة، لكن شيء بيَّنه الله وأوضحه في كتابه، وإن أجمل في الكتاب فقد بيَّنته السُّنة وفصَّلته، ثم يأتي بعد ذلك أُناسٌ يُعرضون عن هذا إعراضًا كليًّا ويدَّعون دينًا آخر، وإن لم يسموه دينًا آخر، لكنه دينٌ آخر وملةٌ أخرىٰ.

[الأصل السادس: رد الشبه التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة]

الأَصْلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَركِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ، وَالمُجْتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَم يَكُنْ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِض عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَن طَلَبَ الهُدَىٰ مِنْهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا!!

قَالَ المُصَنِّفُ: «الأَصْلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَركِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ».

الشرح: ما هي هذه الشبهة؟

الشبهة التي وضعها الشيطان هي: «أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ»؛ أي: وصفوا القرآن والسنة بالصعوبة الشديدة بحيث زعموا بأنه لا يمكن أن يفهم القرآن إلا المجتهد المطلق الذي يحفظ الناسخ

فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ! كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا، خَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ المَلْعُونَةِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَتْ إِلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس:٧-١١].

= والمنسوخ، والعام والخاص، والمقيد والمطلق، ويعرف من فروع اللغة العربية كذا وكذا، ويعرف من أصول الفقه كذا وكذا، عددوا صفاتٍ يقول المصنف: «لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ» أَلَّفوا هذه الشروط من عند أنفسهم، قالوا: من لم يصل إلىٰ هذه الدرجة لا يفهم القرآن، ولا يجوز له أن يتكلم في القرآن أو في الدين.

إلىٰ أن وصل الحال ببعض الذين صدَّقوا هذه الدعوىٰ وهذه الشبهة فقالوا: من الورع إذا أراد الإنسان أن يفسر القرآن أن يخرج من القرية إلىٰ البادية هو ومجموعة من الذين يفسر لهم ربما تنزل صاعقة وعذاب من السماء فلينزل عليهم وهم في البادية، ليسلم المسلمون أهل القرية، فيا سبحان الله!!

انظروا إلىٰ هذا الفهم الجديد، هذا المفهوم يعمل به بعض الناس إلىٰ يومنا هذا، وفي زعمهم أنه تعظيم لكتاب الله، فتعظيم القرآن عندهم إبعاد الناس =

....

عن القرآن، وجعلوا القرآن شيئًا لا يفهم، مع أنه كتابٌ مبين وتبيان لكل شيء، مع ذلك زعموا أنه لا يفهم، والسُّنة أيضًا.

إذن ما هي الفائدة من القرآن؟!!

يتبرك به فيقرأ إذا مات الميت؟!!

ويقرأ في شهر رمضان في البيوت تبركًا إلىٰ درجة أن صحيح البخاري في بعض الأقطار يختم في البيوت تبركًا، فهم لم يفهموا منه شيئًا من أوله إلىٰ آخره، صحيح البخاري يتبرك بقراءته لا لفهمه والعمل به، القرآن يتبرك بتلاوته، وكتب السنة يتبرك بقراءتها وكفىٰ، هذا هو الإسلام كله وبعد ذلك يصلي أو لا يصلي علىٰ حدٍّ سواء؛ لأن الإيمان هاهُنا، الإيمان في القلب وليست بلازم الصلاة!!

شبهة أبعدوا بها كثيرًا من المسلمين عن كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-.

ولكن تَحدُّثًا بنعمة الله في هذا الوقت الذي نحن فيه تكاد تذهب هذه الشبه إلا في مناطق نائية وبعيدة جدًّا عن الجزيرة العربية، في البلدان الأعجمية التي في عمق العجم هؤلاء قد تبقىٰ عندهم هذه الشبه، ولكنها اضمحلت -بحمد الله تعالىٰ-، وزالت وضعفت جدًّا لدىٰ كثيرٍ من المسلمين وخصوصًا الذين ينطقون بالضاد؛ لأن تعليم الدين الإسلامي في الآونة الأخيرة في حدود ثلاثين أو أربعين عامًا انتشر -بحمد الله تعالىٰ-.

فمثلًا عندما أُنشئت الجامعة الإسلامية في عام ألفٍ وثلثمائة وواحد وثمانين، ووفد شباب المسلمين من أقطار الدنيا يأخذوا منحهم في هذه الجامعة، في تلك الأيام الوضع غُيِّر هذا الوضع، فاليوم أحسن بكثير، بكثيرٍ جدًّا؛ لأن تلك الدفعات الأولىٰ والأفواج التي تخرجت وانتشرت في العالم الإسلامي وغير الإسلامي تابعناهم فوجدنا بأنهم خففوا جدًّا من هذه الشبه، ومن هذا الجهل المركب إلىٰ أن بدأ المسلمون حتىٰ في غير الدول العربية والإسلامية في أوربا وغيرها بدءوا يفهمون الإسلام وإن كان في فهمهم غبش.

وهذا الغبش سببه أنه لم يبقَ الميدان لدعاة الحق الفاهمين للكتاب والسنة، بل شاركهم في ميدان الدعوة أُناسٌ آخرون ينتسبون إلىٰ الدعوة الإسلامية وليسوا من الدعوة الإسلامية في شيء، تلك الجماعات نافست دعاة الحق، وشوشت عليهم كثيرًا.

لكن مع ذلك، مع الصبر الطويل دعوة الحق انتصرت، وانتشرت في كثير من الأقطار التي لا نظن أنها تبلغها، ولكنها بلغت بمفهوم صحيح.

ولعلي لا أبالغ إذا ذكرت قصة عِلمتُها في قُطرٍ من الأقطار، ذلك أن داعية من دعاة الحق من خريجي الجامعة الإسلامية هدىٰ الله به العباد في بلد من البلدان، وهداية الناس هؤلاء وقبولهم لدعوة الحق تضايق منها مشايخ الطرق، فرفعوا شكوىٰ للحاكم المسيحي، شكوا هذا الداعية إلىٰ الضابط المسيحي حاكم البلد، من توفيق الله تعالىٰ أن هذا الحاكم مثقفٌ تعلم في أوربا.

....

ولمَّا تقدموا، سألَ المُدعين من مشايخ الطرق: أنتم مسلمون؟

قالوا: نعم.

فقال: أين تعلمتم الإسلام؟

قالوا: هُنا في بلدنا.

وقال للمُدعىٰ عليه: ما اسمك؟

قال: اسمي فلان.

فقال: أين تعلمت؟

قال: في السعودية.

فقال: درست في السعودية ؟

قال: نعم.

فقال: عندك شهادة؟

قال: نعم من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

فقال لهم الحاكم العسكري المسيحي: نحن لمَّا تعلمنا في أوربا علمنا بأن هُنا لدىٰ القساوسة[1] في إفريقيا أمورًا ليست من المسيحية في شيء يعملون بها، أخشىٰ أن تكونوا هُنا أيها المسلمون في إفريقيا ربما لم تفهموا الإسلام الصحيح الذي جاء به رسولكم أليس رسولكم في السعودية؟! =

(١) جمع قسيس، وهم علماء النصارىٰ والمرشدون لهم، وأصلها في اللغة من (قس) إذا تتبع الشيء وطلبه.

-يعني: هو في فهمه السعودية في القديم اسمها السعودية-.

ولد في مكة ودفن في المدينة إذن دينكم أصله من السعودية، هذا الذي جاء من السعودية هو الذي يفهم الإسلام، لا أحد يتعرض له، هذا هو الدين الصحيح لا أحد يشتكيه، الذي يريد يتعلم؛ يتعلم عليه، والذي ما يريد يتعلم يبتعد عنه، نحن لا نعترف إلا بالدين الذي يجيء من السعودية لأن نبيكم في السعودية.

وهكذا نصر الله الحق، وأيَّد الله الدعوة في تلك المنطقة بهذا الحاكم الفاجر الكافر المسيحي تصديقًا لخبره -عليه الصلاة والسلام-: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»[(1)]؛ هكذا انتصر الحق.

وانتشرت -بحمد الله- في كثير من الأقطار دعوة الحق، لذلك هذه الشبهة وما يشبهها إنما تبقىٰ الآن في مناطق نائية وليس في الدنيا بُعدٌ اليوم، هذا الانفتاح العظيم يُقرِّب جميع المناطق، فعلىٰ دعاتنا أن يحتسبوا الأجر، ويعملوا حيث يمكن لهم العمل.

هكذا تتم هذه الأصول الستة، وعلىٰ شبابنا أن يفهموها، ويحفظوها، ويعملوا بها.

فليدرك شبابنا هُنا أنهم أُسوة لشباب المسلمين في أقطار الدنيا. =

(١) رواه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أُريد أن أقول: يجب أن تعرفوا مكانتكم.

قد لا تدركون مكانتكم في نفوس المسلمين في خارج هذا البلد؛ شبابُ المسلمين ينظرون إليكم قدوةً وأسوةً، كما ينظرون إلىٰ علماء هذا البلد كذلك.

لذلك حقِّقوا رغباتهم بأن تكونوا أسوة حسنةً لشباب المسلمين في أقطار الدنيا(١).

---

(١) هذا آخر ما يسَّره الله من خدمة لهذا الشرح النفيس، فما كان فيه من صواب فَمِنَ الله وحده، وما كان من خطأ فَمِن نفسي والشيطان، ورحم الله امرأً أهداني ما وجد فيه من خلل وتقصير، ورحم الله القائل:

فإن تجد عيبا فسد الخللا فجلَّ من لا عيب فيه وعلا

وكتبه حامدًا لربه: أبو جعفر المدني، في مدينة المصطفىٰ ﷺ.

الفِهْرِسُ

فهرس الموضوعات

بداية الشرح: